جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
في منتصف كل شهر عربي

العدد (١٤١)



النبي الخاتم ﷺ

أ. د/ عبد الغفار حامد هلال

الجزء الأول

القاهرة

ربيع أول ١٤٢٨هـ - أبريل ٢٠٠٧م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
في منتصف كل شهر عربي

النبي الخاتم ﷺ

أ . د / عبد الغفار حامد هلال

الجزء الأول

العـــدد (١٤١)

القاهرة

ربيع أول ١٤٢٨ هـ - أبريل ٢٠٠٧م


hamed khatab

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحق أحق أن يتبع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ...

فبعض الناس يطلقون الأسماء الكثيرة في الرأي [illegible] لتدخل في مجال محظور [illegible] على [illegible] والعوائد [illegible] الأحكام الشرعية .

هي الأركان [illegible] الإيمان بها ، والتسليم بمضمونها [illegible] الإيمان بالله تعالى ، والإيمان برسله والكتب التي أنزلها عليهم ، والإيمان بالملائكة وباليوم الآخر ، وأصول الشريعة الصحيحة .

ونعني [illegible] هذه [illegible] الإيمان بوجود الله ، ووحدانيته ، وتنزيهه عن الشرك في الخلق والعبادة وأنه وحده الذي يملك الضر والنفع . قال تعالى : **﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن لــه كفــواً أحد ﴾** [1]

---

[1] الإخلاص [illegible]

وذلك سبحانه وتعالى: ﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾[1].

وبعد الإيمان بأن الله تعالى أرسل من عباده رسلاً مبشرين ومنذرين [illegible] قال تعالى: ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾[2].

وهؤلاء الرسل الذين بعثهم الله إلى العالم [illegible] بشر مثل سائر الناس، ولكن الله تعالى اصطفاهم، وخصهم بما [illegible] العصمة والتكوين حتى أصبحوا أهلاً لتلقي الشرائع الإلهية، وأن يبلغوا ما شرع إليهم [illegible] أو نقص [illegible] في [illegible] ومنهم [illegible] في [illegible].

[illegible] في ذلك [illegible] عز وجل [illegible] فيما يبلغونه عنه، وهي [illegible] البشرية، قال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾[3]، وقال عز من قائل: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾[4]

---

(1) الأنعام: 14

(2) فاطر: 24

(3) الرعد: 38.

(4) الكهف: 110

[illegible] كما أمرت الله تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب [illegible] ﴾[1] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن [illegible]

[illegible] يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ﴾[2] [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾[3].

ولذا يجب [illegible] الرسل [illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

فيأمر القرآن الكريم المسلمين إذا كانوا في مجلس من مجالس رسول الله ﷺ ألا يخرجوا من المجلس إلا بعد استئذانه . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾ [1] ويجب عليهم إذا حادثوا الرسول ﷺ أن يراعوا أصول اللياقة والأدب والتقدير يقول سبحانه : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ [2] . ويجب أن يكون المسلمون تبعا للرسول فيما يأمر به أو ينهى عنه لا يتقدمون عليه بقول ولا فعل . يقول المولى سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ [3] حتى الأصوات لا ينبغي أن تعلو في مجالسه ﷺ قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [4]

وفي هذه الأيام اعتاد معظم الناس حتى الكتاب منهم في التعامل مع الأشياء إلا أن فهم هؤلاء العربية فهما غير صحيح . واستغلوها بشكل سيء في التدخل في الدين وأحكام الشريعة ظنا منهم أنهم من أولي العلم بحجة أنهم يدرسون بعض الأمور . ولذلك سوف نعرض لبعض هؤلاء ونبين لهم أن يبتعدوا عن التعصب والتأييد والرسل . والمقصد صلى الله عليهم وسلم المعصومين .

[1] النور ٦٢

[2] النور ٦٣ .

[3] الحجرات ١

[4] الحجرات ٢

وما كان يليق بهم أن يسلكوا هذا المسلك ، وكان الواجب أن يرعوا الإيمان بعصمة الحبيب وصحة الأخبار . فكيف يروق هؤلاء ما لا يليق بخصائص الرسل الكرام مع أنهم خيرة خلق الله [illegible] ولم يرحموهم . وكيف نطلق عليهم صفة يتصف بها أفراد من البشر لم يحملوا الرسالة على هؤلاء النبيين المصطفين من الله وهم أهل لتلقي وحيه ورسالاته تعالى .

إن هؤلاء يدعون ولا يليق بهم الانحدار إلى ما ليس من اختصاصهم كما أن بعض الناس اتخذوا - أيضاً - بعضاً من سورة [illegible] قول الله تعالى [illegible] الأنبياء والمرسلين جميعاً محمد ﷺ وكفروا [illegible] ما هو من صفة نبيهم [illegible] ترموا سمعته وأشاعوه بالإرهاب ، ووصفوا أتباعه يتصفون بالعنف والتعدي على الآخرين ، وكتموا [illegible] زعموا [illegible] عليهم أن يغفروا أن رسولهم ﷺ فيها [illegible] لهم [illegible] أو يغفروا .

ولكن الرجل والمرأة في أوروبا وأمريكا وغيرهما من بلاد غير المسلمين لا يعرفون إلا القليل من هذه الفكرة ونحسبه مزيفة عليها عبر الكذب والافتراء . لذلك أردت أن أعرض في هذا الكتاب خلاصة وافية عن الرسول الكريم وسنته المشرفة ليطلع عليه الآخرون - في لغته العربية - أو مترجماً إلى لغات العالم . ولعلهم يعرفون الحقيقة الناصعة التي تمنع المكذبين والمفترين [illegible] الاعتراف بما تميز والتحول إليه .

فالإسلام هو دين العدل ، والحرية ، والمساواة ، والإخاء بين جميع البشر ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [1].

وهذا الكتاب يوضح السيرة النبوية العطرة للنبي الخاتم ﷺ، وهو يتناول حياته ﷺ، وجهوده في نشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وخصائص رسالته التي تؤكد صدق ما جاء به ﷺ عن الله عز وجل، وقد قمنا بتقسيم الكتاب إلى جزءين، نعرض في الجزء الأول بابين.

الباب الأول: (نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه).

ونجيب فيه على أسئلة عديدة عن محبة الله ورسوله وعن مكانة النور المحمدي، والإرهاصات التي رافقت هذا المولد، وكيف كان ميلاده ﷺ معوضًا للشرك، وبشيرًا للبشرية، وما الذي حدث لحليمة السعدية في فترة إرضاعه ﷺ.

وكيف حدث شق صدره ﷺ؟ وهل رعى الغنم؟ وما أثر ذلك في حياته ﷺ؟

ما صفاته ﷺ؟ وكيف أنه النبي المصطفى؟ وتكوينه على الخلق العظيم. ولقبه بأنه حرز للأميين وأنه نبي الملحمة.

كيف كانت أخلاقه ﷺ؟ وعلى أي أساس قامت؟ وجوانب عظمته متعددة.

---

(1) الأحزاب: ٢١.

وكيف كانت آدابه وسلوكه مع الناس ؟ كسلوكه مع من خدمه مولاه ، وسلوكه مع من يصادقه ، وابتسامته لأصحابه ، ومشاركته للناس فيما يتكلمون فيه ، ومشاركته في مهنة أهله ، فضلاً عن زهده ﷺ في حطام الدنيا ؟ وشظف العيش فيه واستقلال الطيبات مما يدل على أنه لم يكن يبغي رياسة أو ملكاً أو سلطاناً .

والباب الثاني : (منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله) .

ونتناول فيه النقطة الجوهرية . والذي أمر به ﷺ في شرح دعوته للناس ؟ من أقاربه ، ومن أهل الكتاب . وغيرهم ؟ .

وكيف تقوم الدعوة على أساس الحوار والنقاش ، وأن النقاش يحظى في الدعوة الإسلامية بمقدار كبير من التقدير ، وما كان يقع من أفكار ورؤى مختلفة ، وأن الإسلام أبطلها لأنها كانت خاطئة .

كيف وضح رسول الله ﷺ خطأ عبادة غير الله من الأوثان والأصنام وغيرها ، وكيف أثبت صحة عقيدة التوحيد ؟

وكيف حاول المشركون صرفه ﷺ عن الدعوة إلى التوحيد ؟ وماذا فعل معهم ؟ وما موقف عمه أبي طالب من دعوته ؟ وكيف حاول ... وكيف ثبت ﷺ على مبدئه ، وثبت المسلمون معه ؟

كما يتناول الإجابة على أسئلة متنوعة حول تصميمه ﷺ على نجاح دعوته وقوة إرادته وأنه في سبيل ذلك كان يفكر في طرائق متعددة لإسلام بعض أشداء قريش ، وما جرى من حديث إسلام عمر ، وحديث إسلام ركانة ، والمصافة التي كان يصنع بها رسول الله ﷺ وعند القبائل يطلب

الخصوم ، وكيف كان ﷺ يصبر للاعتراضات ويجيب عليها ثم يشرح مسائل الدعوة وخصائصها ؟

وكيف كان حدبه ﷺ على المدعوين ، ورحمته لهم ؟

يبين أن الدعوة الإسلامية ليست دعوة العنف أو القسوة ، بل طريقها التسامح والرفق والمسامحة . ونماذج من معاملاته ﷺ مع عداس وسويد ابن الصامت ، وغيرهما .

وكيفية البحث عن أرض جديدة لنشر الدعوة ، وعرض نفسه ﷺ على بعض القبائل تمهيداً للهجرة وما نجم عن ذلك من بيعتي العقبة الأولى والثانية وأثرهما في التهيئة لانتشار الدعوة .

والحديث موصول — في امتداد هذا الكتاب — عن الهجرة إلى المدينة ، وعن التخطيط لها وما أدت إليه من قيام الدولة الإسلامية .

وكذلك المعالم البارزة في الهجرة النبوية الدالة على صدق عزيمة المهاجرين والصبر على المكاره ، والانتصار على حب الوطن وصنع الصور الحضارية المشرقة ، والتوجه إلى مواطن جديدة لم تعرف فيها الدعوة ، وتحقيق نصر الله فيها ، والتعاون بين المهاجرين والأنصار والقضاء على شح النفوس .

وكيف كانت التضحية من قبل المهاجرين بالأموال والأنفس وكيف حقق ذلك للمسلمين أن يملكوا زمام الدنيا وتتحقق لهم السيادة فيها .

وكيف كانت سياسته ﷺ في المدينة بحيث عمل رسول الله ﷺ على أن يكون المهاجرون والأنصار يداً واحدة .

وكيف آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وأثر هذه المؤاخاة على الإسلام والمسلمين

وكيف أبرم رسول الله ﷺ معاهدات مع يهود المدينة . وكيف جعل ﷺ أمانا لكل سكان المدينة من أصحاب الديانات الأخرى ، وكيف يعامل الإسلام أهل الذمة في بلاد المسلمين ؟

كما يتناول هذا الكتاب – أيضا – الجهاد في الإسلام ، ومنهج الرسول ﷺ في أن يكون القتال دفاعا لا هجوما .

ويرد على ما شاع بين بعض المستشرقين من أن الإسلام انتشر بحد السيف .

ويبين متى يلجأ المسلمون إلى القتال ، ومدى مشروعيته في الإسلام ، وأنه كان لدفع الظلم والعدوان

كما يتحدث عن انتصار المسلمين في بدر وهل كان الإعداد مناسبا ؟ وما أسباب خروج المسلمين إلى بدر ؟ وهل كان المسلمون وحدهم في الميدان أو أن الله تعالى أمدهم بجنود من عنده ؟

ويتحدث عن قدوم النبي ﷺ معتمرا في العام السادس من الهجرة وكيف وقفت قريش منه موقفا متعنتا لصده عن دخول مكة . وكيف عقد صلح الحديبية ، وماذا كان من الشروط المجحفة على المسلمين ، وحكمة الرسول ﷺ في التعامل معها ، وفتح صلح الحديبية القلوب المغلقة للإسلام

وقد يقولون عن أن صلح الحديبية كان سببا في فتح مكة ، ويدل على توجيه الرسول ﷺ للمسلمين في حين كثير تسلط على أهل مكـة أن كـان مثالا لرحمته بهم .

ونوضح أن هذا الفتح كان فتحا مبينا لم يرق فيه الدماء ، وعفا فيه الرسول ﷺ عن معاديه ولم ينتقم من أحد ، فكان بحق الفتح الأعظم (٥) .

ومنهجه ﷺ منهج تأمين الناس على معتقداتهم وكيف كان له ﷺ من العظم والتاريخ ما أدى إلى الصلح المشروط ، مثل صلحه ﷺ مع نصارى أيلة ، ومع أهل ... ، ومع بعض من اعترض عليه ﷺ في بعض تصرفاته وتسيير معظم الفتن .

كما يتناول هذا الكتاب ملاقاة الرسول ﷺ بعض الوفود القادمين من بعض نواحي الجزيرة ، ليعم الإسلام جوانبها . وكذلك كتب رسول الله ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى من الشعوب كيهود خيبر ، ودعوة رفاعة بن زيد الجذامي ، ومحالفته للقبائل باليهود .

ويتناول كذلك منهج الإعلام الفكري في إرسال كتبه ﷺ إلى ملوك العالم ودول الكبرى آنذاك .

ونوضح مضمون هذه الكتب وما تحتويه أرسلها إلى كسرى وهرقل والمقوقس ، وما كان رد فعل عليه . كذلك الكتب الأخرى التي أرسلت إلى غير هؤلاء .

وكذلك تصحيحه ﷺ لفهم الأحكام أحيانًا، وكيف حذّر يومئذ من أخطر في شأن الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة رسول الله ﷺ فأمر بهجرهم حتى نزل عفوهم، وعفوه عن كل المسلمين حين مخالفتهم له في أحد.

وما هو معروف من أن دعوة الإسلام هي دعوة التيسير على الناس ويتجلى ذلك في تعامله ﷺ كحديثه مع الأعرابي الذي جاء يسأل عن الإسلام وفرائضه.

وحديثه مع معاذ بن جبل حين بعثه ﷺ إلى اليمن وغير ذلك.

ويتحدث عن الرسول ﷺ محمد بن ... في ... غضبه، وما يشتمل عليه القرآن الكريم من حض على الأمر بالمعروف وكذلك السنة النبوية المطهرة ويطلعنا على صفة التوضيح في الإسلام، وتوضيح رسول الله ﷺ وأثره في الدعوة.

ومن الأمور المهمة التي ما تشتمل عليه هذه الرسالة الوصول للحكمة في جهة الدعاة من الدعاة التي تدل على سماحة الإسلام ووظيفة الحكمة تعمل على توسيع وتنظيم وتحقيق حقوق الإنسان في العالم.

المؤلف



الباب الأول

نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه



حب رسول الله ﷺ

يجب علينا جميعاً ـ شرعاً ـ أن نحب الله تعالى ونحب رسوله محمداً ﷺ ويجب أن نعلم أنه لا يتم حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ فذلك من أسس الإيمان ، ومن ذاق طعم هذا الحب عرف اللذة الحقيقية وحلاوة الإيمان قال عليه الصلاة والسلام : "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" .

فحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ مقدم على حب الناس جميعاً حتى الوالد والولد ومن نفس الإنسان التي بين جنبيه واتباع رسول الله ﷺ فيما جاء به عن ربه من الكتاب والسنة هو علامة الحب الحقيقي لأن الحب ليس كلمة تقال دون أن يكون لها صدى وتأثير وإلا لم يكن لها صدى وتأثير ، ولم نعهد المشاعر كلمة تقال لا صدى لها ومن أراد أن يعطي دليلاً على حبه لله فليطع رسول الله وإن أطاع رسول الله فتلك علامة الحب . وطاعة العبد تؤدي إلى حب الله له ، وحب الله للإنسان علامة السعادة في الدنيا والآخرة ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[1] .

---

(1) آل عمران : 31 .

أما من عصى الله ورسوله ولم يعمل بما جاء في الكتاب والسنة فهو بعيد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ويمقته الله تعالى لإنكاره ما أمر الله تعالى عليه وإذا أبغض الله عبدا أشقاه وحرمه من رحمته وكتب عليه التعاسة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [1].

وعلينا أن نسارع إلى أداء ما فرض الله تعالى علينا ونعلم أبناءنا ونشئنا أن حب الله وحب رسوله ﷺ واجب بالسلوك المستقيم والعمل الصالح فلابد حتى نسعد بهذا الحب ونحقق التوفيق والنجاح في هذه الحياة، وننال أعظم الدرجات عند الله في الآخرة.

---

(١) آل عمران ٣٢.

الميلاد المحمدي وتصحيح مسار الإنسان

يحق بنا أن نخرج لنتذكر يوم ميلاد نبي البشرية محمد ﷺ ، إن المقصود بتذكر هذا اليوم تحري إسداء التوجيه والنصح ، والدلالة على الخير في حياة المسلم كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[1] .

إنه يوم ميلاد خاتم النبيين ، فحين قيل له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت .

لقد بدا النور المحمدي حين حملته أمه آمنة ، ووضعته ، ورأت هذا النور يخرج منها ، وينتشر حتى يضيء قصور بصرى بالشام . إن يوم ميلاده ﷺ كان يوماً مشهوداً ، فقد ارتجت الأرض على عظم مولده ، وعظمة أمره ، يوم ميلاده ﷺ هزم الله تعالى أصحاب الفيل ، وردهم مدحورين مهزومين ودافع عن البيت الحرام ، كان دفاع الله تعالى أقوى من الجيوش الجرارة حين قدمت الطيور تحمل الحجارة الفتاكة بالقادة المعتدين فكان حدثاً

---

[1] الأحزاب : ٢١ .

لهم بعد من نصرة الحق ، وبتغلبه العداة . « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول » [1] أي كورق الزرع إذا أكلته الدواب في حالته .

وقد قيل في ذلك :

فأرودة الطاغوت إذ جاء جمعه

وأفياله قد أزرتها الجحافل

ويرمون أفعال التدلي للكعبة

فشاهت عيون كيف منها القبائل

حمى بيته الرب القدير محصنا

ورد عصابة الهدى عنه أبابيل

ويوم ميلاده ﷺ تصدع إيوان كسرى هذا القصر المشيد الذي كان يجمع بالمسيطر على الشعوب ، ويقوم عليه أنه جبابرة الأرض من الطغاة ، ويهيمن من ومن حوله من عالم الهيمنة إذ بشرفات القصر تهوى متساقطة ، وهي كثيرة قيل إنها سقطت أربع عشرة شرفة ، كما يذكر كتاب السيرة ، ورأى أرمن كسرى في الآفاق يبحث عن سبب هذا الانهيار ثم علم بعد البعثة بأنه النور المحمدي .

لقد تلى ميلاده ﷺ تصدعا للشرك ، وعبادة غير الله ، فخمدت بمولده ﷺ نار كسرى ، وكانت متوجهة أكثر من ألف عام لم تنطفئ .

---

(1) الفيل ١-٥

ومن بعدهما من العصور . وكان هذا العصر الذي بدأ ببدء البعثة الإنسانية الحقة متمثلا في شريعة وشرع الله الذي بعد أن ختم الله الرسالات الإلهية كما قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾[1]

وقلت في ذلك :

وشر تلقى بعد الأرض حمرها
تشب لها من ألف عام مراحل

وبينا عهد الشر يمشي حولها
تهيم المجوس بين الهياكل

في يوم ميلاد النبي فأخمدت
له نار كسرى وانقضت الهياكل

تصدع إيوان كسرى وقد هوت
به شرفات حطمتها الزلازل

لقد كانت لحظة الميلاد فيصلا لحظة بعث للبشرية من ظلمات الشرك والضلال ، وتوجيها لها إلى الصراط المستقيم . وكان محمد ﷺ نصا على العمل ، والخلق ، والقمة لبناء الإنسان بناء حضاريا فريدا في هذا العالم على أساس من الفكر الحر والدعوة بالحسنى والشورى

---

(١) الشورى ١٣ .

والتفاهم، لا بالسيف والإكراه { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي }[1] .

وقد رسم طريق الدعوة بالحسنى ، والتراحم بين الناس ، نبي الفضائل ﷺ

[إنما أنا رحمة مهداة]

وقلت في ذلك :

وهذا رسول الله قولا ومولدا

أزاح ستار الجهل كيف التجاهل

فسلم يشاء للحياة قوامه

تحاور فكر لا سيوف غوائل

وقرب بين الناس كي يتعارفوا

على وحدة يزداد فيها التواصل

---

(1) البقرة : 256 .

مولد الرسول ﷺ
وكيف نحتفل به

إن الرسول ﷺ نور كما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [1] . وقد كان هذا النور المحمدي في ظهر آدم – عليه السلام – كما قال ﷺ : [كنت في ظهر آدم ومن آدم لمتوحد في طويته] وتنقل هذا النور حتى وصل إلى ظهر أبيه عبد الله – رضي الله عنه – يقول ﷺ : [إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار] .

وكان هذا النور ظاهراً في وجه والده عبد الله حتى إن غير واحدة من نساء مكة كن يعرضن عليه الزواج منه لتحظى كل واحدة منهن بهذا النور إلى أن استقرت بهذا النور والدته السيدة آمنة بنت وهب – رضي الله عنها – فأعرضت نساء مكة عن عبد الله لاستقرار النور المحمدي في والدته الطاهرة ، ولقد قالت السيدة آمنة عن حملها المصطفى : رأيت نوراً يخرج من بطني فيضيء قصور بصرى بالشام .

---

(1) الأحزاب : 45 – 46 .

وما أنزل على النبي ﷺ من القرآن والسنة نور يهدي البشرية من ضلالها قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [1] .

وقد ولد ﷺ في يوم الإثنين ، ويحس الأحتفال بهذا المولد الذي عم البشرية نوره وأنقذها من ضلالها وظلمها من الرجس والشرك والكفران إلى نور الطاعة لله الواحد سبحانه وتعالى . ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [2] .

ويكون الاحتفال بقراءة سيرته وتذكر ما نزل عليه من الكتاب والسنة وتعلمها وتعليمها ، والعمل بها ونشرها في الناس .

وقلت في ذلك :

قدوم إلى الدنيا به الدين كامل
ونور من العلياء بالوحي نازل
تجلى بعد الكون عدلاً ورحمة
وملأ رحب الخافقين كالمشاعل

---

(١) الشورى : ٥٢-٥٣ .

(٢) الجمعة : ٢ .

فظل به والناس في جاهلية

يسامون بالهضام والظلم مسدل

وهناك كثير يجعلون إلههم

حجارة غير الله والعقل غافل

فقال رسول سوف يظهر سره

ويخلد رسل الله والرشد آيل

رضاعته وشق صدره

أرضعته حليمة ابنة أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث كما يقولون من هنا. خرجت حليمة إلى مكة تريد طفلاً ترضعه مع صاحباتها وكان الكل يبعد عن محمد لأنه يتيم، ولم تجد غيره، فأخذته مضطرة، وحدث عادت به وركبت راحلتها هذه الفقيرة الهزيلة، فكانت أسرع من صويحباتها وأقواهن، وكان ثديها قد جف من قبل، والآن عادت راحلتها وقد كانت لا تقوى على السير، وأصبحت تسبق عند الخير نهارها، وأرضعته كما أرضعت عميه بعد أن كان الشكل سحب منه آثار يعجب المحيطون بها.

ويقول ﷺ: «بينما أنا مسترضع في خلف بيوتنا نرعى غنماً لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً، ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه».

وهذا كان في حال الطفولة ليبقى قلبه من مصدر الشيطان، وليتطهر من كل شيء نجس، حتى لا يلمس شيء منه يحث على شيء من الشر، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا توحيد الله تعالى.

قال: «ولّيا عني — يعني الملكين — وكأني أعاين الأمر معاينة».

وشق صدره ﷺ بعد الكبر حينما أراد الله تعالى أن يرتفع إلى السموات العلى ليلة الإسراء والمعراج.

وهو عليه السلام يقول : ما من نبي إلا وقد رعى الغنم . قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا .

ثم كان يرعى الغنم في سن مبكرة مع أخيه من الرضاعة ، وقد شب في [illegible] على [illegible] .

ولما ردته حليمة إلى أمه بعد حادث شق الصدر وكانت سنه خمس سنين وشهرا ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين [illegible] رضي الله عنها والمرة الثانية يوم حنين .

وقلت في ذلك :

محمد لما أرضعته حليمة
تفتح سر الرسالة [illegible]

رأت أنها يهمي بثدي رضاعه
وكم أرضعت من قبل والثدي [illegible]

وعيرتها جئت وقد كانت [illegible]
[illegible] وأعيا [illegible] من [illegible]

[illegible] بتغيرات زوج حليمة
[illegible] الطفل [illegible]

[illegible] الناس في الفقر [illegible]
[illegible] في [illegible] على حليمة [illegible]

وجبريل شق الصدر [illegible]
بوسوسة الشيطان [illegible]

وكيف يريد [illegible]
في المعجزات الباهرات [illegible]

صفة النبي ﷺ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال أبو هريرة [illegible]

لنفسي [illegible] إذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فضحك [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible]

وفي حديث [illegible] [illegible] أن النبي ﷺ [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عنه [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] الأرض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] :

قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة (أي ظاهر النظافة) أبلج الوجه (مشرق الوجه مضيئه) حسن الخلق لم تعبه ثجلة (عظم البطن مع استرخاء أسفله) ولم تزر به صعلة (صغر الرأس) وسيم (حسن) قسيم (الحسن كأن الحسن قسم له قسمة) قسيم (الحسن قسمة الوجه) في عينيه دعج (شدة سواد العين) وفي أشفاره وطف (طول) وفي صوته صحل (شبه البحة) وفي عنقه سطع (طول العنق) وفي لحيته كثاثة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا يأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر (أي لا تزدريه لقصره فتتجاوزه إلى غيره) غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود (مخدوم) محشود (الذي يجتمع الناس حوله) لا عابس ولا مفند (المنسوب إلى الجهل وقلة العقل) . قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

المصطفى ﷺ

وروى الإمام مسلم ـ بسنده ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : [إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم] .

وهذا كما اصطفى الله تعالى الرسل جميعاً ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ [1] ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ [2] ﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ [3] .

وهو ﷺ (مصطفى) من حيث طهارة نسبه من سفاح الجاهلية . ورباه مولاه على الفطرة النقية فلم يمسسه شيء من أمور الجاهلية منذ ولادته ، ونقى قلبه وحصنه من الشيطان ، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أنس بن مالك أن جبريل أتى النبي ﷺ وهو صغير فشق عن قلبه واستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك .

---

[1] الحج : ٧٥

[2] آل عمران : ٣٣

[3] الأعراف : ١٤٤

كما عصمه ﷺ من أشياء كثيرة فعصمه من تسلط أعدائه عليه : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [1] . ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ [2] .

وكذلك العصمة لرسوله ﷺ عن المعاصي من الخلق السيء والخلق الذميم وتذكر كتب السيرة شمائله ﷺ ، واصطفاه بالوحي ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [3] .

وجعله خاتم النبيين ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [4] ، وهو المكمل لبناء الأنبياء جميعاً ومظاهر اصطفاء الله تعالى لنبيه كثيرة لا يمكن حصرها ، وهذا من حب الله تعالى له . كما يوجب ذلك محبة الأمة له ﷺ.

---

(١) الأنفال ٣٠ .

(٢) النجم ٢ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) الأحزاب ٤٠ .

أبو القاسم ﷺ

[illegible]

[illegible] **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** (١) [illegible]

[illegible]

[illegible] أبو القاسم [illegible] رسول الله ﷺ [illegible]

---

(١) [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

حرز الأميين ﷺ

يقول تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾[١]. وروى البخاري عن عطاء بن يسار قال: (لقيت عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل"

والحرز هو الموضع الحصين. ويقول: هو في حرز لا يوصل إليه، ويقال: أحرزت الشيء: إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ، واحترزت من كذا وتحرزت: إذا توقيته. والحرز: ما يلجأ إليه من مكمن وغيره.

فالنبي ﷺ يحفظ على أمته ويحميها من [illegible] وذلك بتلاوة كتابه المبين والعمل بما فيه والاتباع له: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف

---

(١) الجمعة ٢ ـ ٤.

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [١]

ويقول ﷺ: [أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي] وفي رواية وأنتم تقتحمون فيها - فهو ﷺ بما جاء به عن ربه يحفظ الأمة ويحرسها ويمنع عنها كل ما يضرها أو ينال منها .

---

(١) الأعراف : ١٥٧

نبي الملحمة ﷺ

عن أبي وائل عن عبد الله قال : لقيت رسول الله ﷺ في بعض طرق المدينة فقال : [أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبي الرحمة ونبي التوبة وأنا الحاشر ونبي الملحمة] رواه الترمذي في الشمائل وإسناده حسن .

والملحمة لها أكثر من معنى :

قيل : هي الحرب ذات القتل الشديد يقال : ألحم فلان فلاناً أي قتله أو ضرب منه حتى لزق به ، ولحمه أي ضربه فأصاب لحمه ، والملحمة : القتل ، والملحم : الذي ليس يطمع به أعداؤه فمعنى [نبي الملحمة] أي نبي القتال ، وهو في الحديث : بعث بالسيف وهو يحب قتال أعدائه الذين اعتدوا عليه ، وله شجاع يرد كيد العدو في نحره ، وكان إذا حمي الوطيس لم يكن أحد أقرب إلى العدو من رسول الله ﷺ ، وكان ينادي المشركين — في أحد وفي حنين — قائلاً : [يا عباد الله أنا رسول الله — أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب]

والمعنى الثاني لقولهم نبي الملحمة أي نبي الصلاح وتأليف الناس فهو الذي يؤلف أمر الأمة ويجمع المتفرقين منها ، ويقال في اللغة : ألحم الأمر : إذا أحكمه وأصلحه ومن ذلك : لحم الشيء يلحمه لحماً ، ألحمه ملتحم ، والتحم الصدع والتأم بمعنى واحد ، ومنه الملحمة بمعنى : القرابة التي يلتصق فيها كل واحد بالآخر ، ويتصل به ، وعلى ذلك

فيؤثرون كلا من هدى الأمة بحسبه في النشر ، والمحبة ، والمودة ، وحسن الصلة ، والقرابة ، وهذا يقضي بالمجالسة والمعاملة وجميع الشمائل ... التفرقة ، ونزع الحقد من القلوب ، وإصلاحها بما يؤدي إلى الوفاق والحب والتآلف بين البشر ، وهذا ما يجب بينه كافة حسن التعامل للجميع

الشفيع ﷺ

[illegible] الله [illegible] محمد ﷺ [illegible]
[illegible]
[illegible] إلى الرفيق الأعلى [illegible]
[illegible]
ﷺ [illegible] [لكل نبي دعوة مستجابة ،
[illegible] دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة] [illegible]
[illegible]

[illegible] محمد ﷺ صاحب [illegible] في الأمر [illegible]
[illegible] ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن
يبعثك ربك مقاما محمودا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

والانصراف من الموقف والحساب . وهكذا ثم ما تعلموه من حديث الشفاعة يوم القيامة من أن أولي العزم يعتذر كل منهم حتى يصير أمر الخلق إليه (نفسي نفسي) ويقولون اذهبوا إلى غيري حتى يصلوا إلى الرسول الكريم محمد ﷺ فيقول : [أنا لها أنا لها] . ويقول : [أمتي أمتي] فيشفع في الانصراف من الموقف للناس . ويشفع للمؤمنين في دخول الجنة وفي خروج عصاتهم من النار . وفي تخفيف العذاب عمن يشاء الله تعالى

كان خلقه القرآن

إن الله تعالى مكن في الأرض لمن يحسنون التمكين والصلاح والخير، ويحبون ملكية وسلوك ... لأنهم يلتزمون بمبادئ الأخلاق التي تقوم على أساس الحق والعدل والخير، ويحسنون السياسة في الأمور. قال الله تعالى: ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ [1].

وكما قال سبحانه: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [2].

وكما قال عز جلاله: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ [3].

أما الذين يشيعون فساد الأخلاق ويتخذون الشر طريقاً لهم فجزاؤهم الانقسام والذلة والخذلان، وذلك يكون بفساد العلاقات والتفكك. وقد قال ابن مسعود: [خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: [هذا سبيل الله مستقيما] وخط عن يمينه وشماله ثم قال: [هذه السبل ليس منها سبيل

---

(1) الأنبياء: ١٠٥.
(2) الحج: ٤١.
(3) النور: ٥٥.

[illegible] قال تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [1]

وبذلك كان [illegible] الإسلام هو الحق [illegible] الذي يقوم على أساس السلوك [illegible] الطرق [illegible] العمل [illegible] في جميع الأمور [illegible] في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [2] .

[illegible] في القرآن الكريم [illegible] الرسول ﷺ [illegible] القرآن الكريم، وكان النبي ﷺ [illegible] في ذلك [illegible] من [illegible] أو [illegible] بأخلاق الإسلام [illegible] من [illegible] التي [illegible] العبادات . وتنظيم الحياة الاجتماعية في جميع [illegible] و[illegible] والاجتماعية والتربوية على [illegible] في القرآن [illegible] السنة النبوية [illegible] رسول الله ﷺ في [illegible]

---

(1) الأنعام : ١٥٣ .

(2) النساء : ٥٩ .

تقارب بعده عن الله عز وجل وتزعزعه وعصفه أهواء أو أطماعه وحاجاته الشخصية وشهواته، وهذا يشمل كل ما يؤدي إلى الفساد وترك الفرائض ما ظهر منها وما بطن وأن يكون الإنسان مستقيماً كما أمره الله **﴿ واستقم كما أمرت ﴾**[1]. والقرآن الكريم إلى جانب ذلك يدعو إلى كل ما من شأنه الحفاظ على المجتمع الذي [illegible] وتحقيق الأمن [illegible] والتماسك ومصلحة الأمور بعظمة ورؤية.

ونهى القرآن الكريم عن كل ما يخل بالمروءة والقيم الأخلاقية كالكذب والنفاق والغش والحسد والغيبة، والعدوان على النفس والمال والتعاطي للخبائث وحذر من كل القبائح التي تضر بالمجتمع وتمس كرامته والحياء والقيم.

وأمر بأن أمر الوفاء بالعهود والعقود، ونهى عن استغلال [illegible] والظلم وتحريم الظلم للآخرين.

كما أمر بحفظ الأمن والنظام وطاعة ولي الأمر والقادة الأمناء حسن ما يصلح كل أحوالها.

كما أمر بالاهتمام بالصالح وترك الفساد في الأرض. قال تعالى:
﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾[2].

وقال ﷺ: **[إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد**

---

(1) الشورى : ١٥ .

(2) البقرة ١٨٧

حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها »[1] .

لقد قال القرآن الكريم عن الرسول ﷺ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[2] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾[3] .

قال القاضي عياض : إن فضله ﷺ أن الله أعطاه اسمين من أسمائه الحسنى فقال : « بالمؤمنين رءوف رحيم » ، ثم يعامل قومه في دعوته إلى الله معاملة حانية .

سألت السيدة عائشة النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟

قال ﷺ : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة .. إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب — قرن المنازل الآن — فرفعت رأسي ، فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت ، فإذا فيها جبريل — عليه السلام — فناداني فقال : إن الله سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت

---

(1) قال النووي : هذا حديث حسن .

(2) آل عمران : 159 .

(3) التوبة : 128 .

فيهم ، فناداني ملك الجبال ، وسلم علي ثم قال : يا محمد ، إن الله تعالى قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين – تثنية أخشب وهو جبل بمكة – فقال ﷺ : [بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً] (١) .

وعن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : [لن تراعوا لن تراعوا] ، وهو على فرس لأبي طلحة [زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس] عري ما عليه سرج ، في عنقه سيف ، فقال : لقد وجدته بحراً أو إنه لبحر (أي واسع الجري مثل البحر) .

وقال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي ﷺ لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله ، فرجع فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان .

وعن عبد الله بن عمرو قال : لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ، وإنه كان يقول : [إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً] .

---

(١) رواه الشيخان .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي : أفٍّ ، ولا لِمَ صنعت ؟ ولا ألا صنعت ؟ (يعني شيئاً صنعته) .

وفي رواية : ما قال لشيء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيء لم أصنعه : لم لم تصنع هكذا ؟

وعن الأسود بن يزيد قال : سألت عائشة : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ـ يكنس البيت ويحلبها ـ فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾[1] ، قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله يفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

وكل ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فهو سنة.

وكل ما كان منها مقصوداً به التشريع والاقتداء به ﷺ مما ثبتت صحته هو مصدر للتشريع فكل شيء يحتاج إليه المسلمون في أمر دينهم ودنياهم مما يصلح حياتهم شرع لهم .

---

(1) الأحزاب : ٤٥ .

وطاعة الرسول من طاعة الله . قال تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ (١) ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ (٢) . ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٣) .

وسنته ﷺ بيان القرآن : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (٤) .

ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ إلى اليمن قال له : [بم تقضي إذا عرض لك قضاء] ؟ قال : بكتاب الله . قال : [فإن لم تجد] ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : [فإن لم تجد] ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فقال ﷺ : [الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضي الله ورسوله] .

والسنة تأتي مقررة ومؤكدة لما جاء في القرآن الكريم كالأمر بالصلاة والزكاة وسائر العبادات .

والسنة تأتي مفسرة ومفصلة لما أتى مجملا في القرآن أو مخصصة بعض القيود والشروط كما جاءت السنة مبينة لأوقات الصلاة وكيفيتها وعدد ركعاتها وما يقرأ فيها الخ

---

(١) آل عمران : ٣٢

(٢) النساء : ٨٠

(٣) الحشر : ٧

(٤) النحل : ٤٤ .

والسنة تأتي بأحكام جديدة لم يذكرها القرآن مثل التحريم بسبب الرضاع (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) وكذلك حديث الوصية والسائمة والخلطة والشفعة إلخ .. وهذا ما أشار إليه الإمام الشافعي في رسالته — في الأصول — وذكره مفصلاً فيما بعد

الرحمة المهداة

حكى رسول الله ﷺ رحمته بأمته فبين أن الله تعالى يرحم بعض الأمم بموت نبيها في حياته الرسل، وبعد مماتهم كما أن الله تعالى يعذب بعض الأمم فيهلكهم ونبيها حي يرى ما ينزل بهم من الهلاك والدمار لأنهم كذبوا رسلهم .

روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **[إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها . وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره]** .

والأمة التي يرحمها الله تعالى يعيش معها نبيها مدة من الزمن ثم ينتقل إلى رحاب ربه . والرسول في حال الحياة وبعد الممات مصدر خير لأمته فالأمة الإسلامية مرحومة برسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته ولذلك يقول ﷺ : **[حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ، حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت خيراً حمدت الله ، وما رأيت شراً استغفرت الله لكم]** فهو في مصلحة الأمة يرعاها ويحافظ عليها في مسيرة حياتها لأن الأمم التي كذبت رسلها غضب الله تعالى عليها وأهلكها لتكذيبها رسلها كقوم نوح الذين دعا عليهم.

﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾(1) فأغرقهم الله [illegible]

[illegible] سيدنا نوح عليه السلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لتكذيبهم سيدنا صالح عليه السلام [illegible]

[illegible] .

أما رسول الله ﷺ فهو رحمة كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(2) [illegible]

[illegible] الأخشبين [illegible]

[illegible] [[illegible]] وقال: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون . لكل نبي دعوة مستجابة وقد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) .

---

(1) نوح: ٢٦ .

(2) الأنبياء: ١٠٧ .

آدابه وسلوكه مع الناس ﷺ

عن أنس قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتقه قد أثرت بها حاشية البرد، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء. متفق عليه.

وكان رسول الله ﷺ إذا صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل هو ينصرف، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له.

وعن ثابت عن أنس: ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ [illegible] فيه [illegible] ﷺ للإنصات [illegible] حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رسول الله أخذ بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده(١).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم. متفق عليه. وسئل جابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم كثيراً، كان لا يقوم من

---

(١) رواه أبو داود.

صلاته حتى تطلع الشمس وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم [1] .

وقال زيد بن ثابت : كنت جار النبي ﷺ فكان إذا نزل الوحي بعث إلي فآتيه فأكتب الوحي ، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ إذا كان في بيته يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ويحلب شاته ويخدم نفسه .

وقال أنس : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع الطفل

---

(1) السابق

زهده ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [1].

دخل عمر — رضي الله عنه — على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على حصير فأدنى عليه إزاره وإذا الحصير قد أثر في جنبه، ورأى قليلاً من شعير وبعض العلوف فدمعت عيناه فقال رسول الله ﷺ: [ما يبكيك يا ابن الخطاب]؟ فقال عمر: يا رسول الله وما لي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله وخيرته وهذه خزائنك وكسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت هكذا. فقال ﷺ: [يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا]؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: [فاحمد الله تعالى] رواه مسلم.

وفي رواية أخرى قال: [ما لي وللدنيا، إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها].

وكان ﷺ لا يدخر شيئاً من المال وإنما ينفق كل ما يأتيه على رعيته. عن أبي هريرة — رضي الله عنه — عن رسول الله ﷺ قال: [لو أن لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن تأتي علي ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين] [2].

---

[1] طه: 131.

[2] أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أيضا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» (1).

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز بر حتى توفي» (2).

وعنها ـ أيضا ـ قالت: «كان يمر بنا الهلال والهلال ما نوقد بنار لطعام إلا التمر والماء» (3).

وعنها ـ أيضا ـ قالت: «دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إلي بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قلت: فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فذهبت فبعثت إلي بهذا. فقال: «رديه يا عائشة» قالت: فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «رديه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة» (4).

وكان المثال الذي يقدمه يشبع الجائع ويطعم الفقير ويسكن من لا بيت له. وكان ﷺ يواصل في صومه، ويبقى أياما لا يأكل، وينهى عن الوصال، ويقول: «إني لست مثلكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».

---

(1) أخرجه مسلم والبخاري.
(2) أخرجه مسلم.
(3) متفق عليه.
(4) أخرجه الإمام أحمد في الزهد.

الباب الثاني

منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله

..



البعثة المحمدية

الدعوة السرية للرسول ﷺ

كان الرسول ﷺ [illegible]

[illegible] أخذه . [illegible]

وعشرين [illegible] . [illegible] اقرأ [illegible]

[illegible]

له [illegible] . « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم » (١)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) العلق: ١ - ٥

[illegible] ويقول إنه لا يدعو إلى الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] وقد قال [illegible] عليه الصلاة والسلام: [**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة [أي تلكؤ وعدم إجابة] ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عتم حين ذكرته له، وما تردد فيه** . [illegible] الدعوة [illegible]
[illegible] الذين يستطيع التأثير فيهم] . [illegible]
[illegible]
[illegible] حتى يكونوا [illegible]
[illegible] في العهد .

[illegible] إلى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] .

[illegible]
[illegible]

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، وغيرهم من الصفوة التي ساهمت في الدعوة الإسلامية في مهدها ، وجعلتها تقوى ، ويشتد عودها .

وقد جاء هؤلاء الأصحاب يدلون على الإسلام ويدعون إليه فدعوا كثيراً ، ودفعوا إلى الإسلام ، وأتوا رسول الله ليأخذوا منه فهم هذا الدين الدعوة وصبرها ، وقد تدرج الرسول الكريم معهم فيمن هم أصحاب هذه الدعوة التي بدأها بمكة ، وهي إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور معرفة الله وتوحيده .

هذه الدعوة المستمدة تنفر منهم من جاهليتهم وما كانوا فيه من عبادة الأصنام ، وأكل الميتة ، وإتيان الفواحش ، وقطع الأرحام ، وإساءة الجوار ، واعتماد القوي على الضعيف ، وتوجيههم إلى توحيد الله وعبادته وخلع ما كانوا عليه هم وآباؤهم من عبادة الحجارة والأوثان ، وأمرهم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، والانتهاء عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، والأمر بالصلاة والزكاة والصيام .. إلخ .

وقد أخذت الدعوة هذا الأسلوب السري مدة من الزمن استطاعت فيه أن تحظى بثقة أصحاب العقول الراجحة من الرجال والنساء ، واستمرت الدعوة على هذا ثلاث سنين .

وما كان من الممكن أن تأخذ الدعوة صورة العلن وإلا قوبلت بالإنكار والتهديد .

الدعوة العلنية

كان لابد للدعوة بعد أن حظيت بتأييد المسلمين، وبعد أن تحمل حتى غدت لها أفواج من الناس أن تأخذ طريقها إلى الوجود بالطريق العلني حتى يتحقق لها الانتشار والشيوع.

ولا ريب أن الرسول ﷺ في إعلان الدعوة كان مستجيباً لأمر ربه في نقلها من السرية إلى العلنية قال تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (1).

أمر ﷺ أن يفرق بين الحق والباطل، فيصارح الناس بدعوته، وشبهها التي حامت وقامت عليها، من عبادة الله الواحد، ونبذ عبادة غير الله، ولم يتخذ النبي ﷺ منهج القوة في فرض العقيدة على الناس، بل كان يشرح لهم أصول دعوته، ويقيم الأدلة على صدق الدعوة ليميز الحق من الباطل في أسلوب مهذب، وخلق حميد. وليس هناك داعية أشد يعتز بفرض الأمر بالكبرياء، أو الغطرسة، فالناس حينئذ يتغيرون من الداعية إذا كان مندفعاً في دعوته بالقوة، أو الغرور أو السلطان.

فلابد من الصبر في القول والعمل، ولابد من حسن الترغيب. والنصح لنجاح الدعوة، فها هو محمد ﷺ يدعو عمه إلى الإسلام فيقول له: [أنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من

---

(1) الحجر: 94.

أجنبي إليه ، أو أجنبي عنه] فهو كذلك يتخذ أسلوب اللين ، ويستعمل طرق الترغيب مستعيناً فيه بحسن [illegible] وسعة صدره ، ولن من الواجب عليه نفسه أن يوضح له طريق الهداية أكثر من غيره من الناس . إذ أحق الناس بالنصح هم أهل الإنسان ثم غيرهم من بني البشر ممن [illegible] من مصالحته ، ورأفة من تفكيره ما يدعوه إلى الإجابة

ومن لم يستجب للإرشاد والنصح فالأمر بالحسنى هو السبيل إليه ، لا عنف ولا حروب ، ولا استعمال للقوة ، ولا تهديد ، فكل إنسان حر فيما يعتنق من عقيدة في حدود ما لا يضر بالآخرين ، وكل إنسان حر في اعتقاده لا يكره على الدين قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [1]

وهكذا كانت الدعوة لجميع الناس بالحسنى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [2]

والحوار والنقاش في الإسلام له أدبه وله أحكامه ولا يقصر أن يستفسر الإنسان عن شيء إذا كان يقصد إلى معرفته والاهتداء إلى الصحيح منه إن وضحت الأدلة وصحت ويكون ذلك بالاستفهام وتلقي الإجابة والإنصات إلى من يوضح دون ضجر [illegible] .

---

[1] البقرة : 256 .

[2] النحل : 125 .

وقد أمر الرسول ﷺ بأن يكون جداله مع أهل الكتاب بالحسنى، وأن يحقق باب الدفاع عن الرأي بالتي هي أحسن. «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» [1].

وكان الرسول ﷺ يشرح لأهل الكتاب نقاط الحوار ويبين لهم أن لكل من الفريقين عمله المستقل الذي سيجازى عليه في جنان الخلد المستقيمة، قال سبحانه موجها هذه الدعوة إلى الرسول ﷺ وإلى الأمة الإسلامية ليمسكوا عن الجدال ويحددوا مع أهل الكتاب: «قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون» [2].

(1) العنكبوت: 46.
(2) البقرة: 139.

الدعوة شرح وتفصيل وبيان

[illegible] تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [1]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [1]

ويخرج الرسول ﷺ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الرسول ﷺ
[illegible]
[illegible]

فخرج الرسول ﷺ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا [illegible] ولا [illegible]
[illegible] (١)

وذكر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] .

---

(١) [illegible] .

ولقد أوضح لهم الرسول ﷺ أن الذي يجب تحقيقه هو الله تعالى الذي كانوا يعترفون بوجوده ويقومون له بالحج كما قال تعالى: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾[1].

وقد بين الرسول ﷺ لهم أن هذه المعبودات لا تنفع ولا تضر وعلى كل عاقل ومفكر ترك ذلك، وأبطل الرسول لهم ما كانوا يعملونه من تخصيصات هذه المعبودات في أموالهم. قال تعالى: ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾[2].

وبين بطلان القول بتعدد الآلهة لدى كل المشركين، فقد كانوا يعجبون أن يكون الإله واحدا كما جاء على لسانه ﷺ قائلين: ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾[3].

وبين لهم بالمنطق والبراهين القاطعة أن الإله واحد لا متعدد وأن نظام هذا الكون البديع يقتضي كون الإله واحدا: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[4].

---

[1] يوسف: ١٠٦.
[2] الأنعام: ١٣٦.
[3] ص: ٥.
[4] الأنبياء: ٢٢.

وقال سبحانه : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا »[1] . في ذلك حث على تحقيق البيان الذي أعاد العقول السليمة إلى صوابها .

---

(١) الزمر ٢٩

الصبر على الإيذاء ومقابلته بالهدوء والسكينة

[illegible]

[illegible]

ونزل في شأن أولئك قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر *

سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر »(1).

[illegible] الدعوة الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] « أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله »(2).

[illegible]

---

(1) المدثر: ٢٦ - ٣٠.
(2) غافر: [illegible]

النقاش والمفاوضة

بما يؤكد صدق دعوته ﷺ

[illegible]

الذي يأتيك رئيا لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

فلما فرغ عتبة من كلامه قال له الرسول ﷺ : [أقد فرغت يا أبا الوليد ؟] قال : نعم . قال : [فاسمع مني] قال : أفعل . فقال ﷺ : [ما بي شيء مما تقولون ، ما جئت أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم] ثم تلا عليه ﷺ أول سورة (فصلت) : ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ (1) .

ومضى في السورة يقرؤها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت لها يسمع .

ثم قال له النبي ﷺ : [يا أبا الوليد قد سمعت ما سمعت فأنت وذاك]

هذا هو الحوار الهادئ [illegible] ﷺ من خلاله [illegible] الحوار [illegible] دعوة الحق [illegible] حول [illegible]

[illegible]

---

(1) فصلت : 1 ـ 4

منهج للدعوة يوضح كيف يدار الحوار والمفاوضة فيها :

والدعوة الحكيمة يجب عليها ألا تعطي من أمرها كل طريق للحوار ، من يتركهم يسكنون ، ثم يوجههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم حتى إذا كانت الأسئلة حول كتلك الأسئلة المتعنتة التي حكى بعضها القرآن الكريم في قوله تعالى : « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا** »[1].

وقد جلس الرسول ﷺ يوما في المسجد تجاه النضر بن الحارث ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : « **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون * لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون** » [2] .

--

[1] الإسراء : ٩٠ – ٩٤

[2] الأنبياء : ٩٨ – ١٠٠

الثبات على المبدأ

إن الداعية إلى الله لابد أن يكون مؤمنا بما يدعو إليه عارفا أنه الحق مستعدا أن يبذل في سبيله كل غال ونفيس. فإذا كان هكذا كتب لدعوته النجاح، أما إذا خالطت دعوته شائبة شخصية يبغيها من ورائها من منصب أو جاه أو سلطان أو منزلة، ولم تكن دعوته مبنية على أساس من الصدق مع النفس، والإيمان بها لذاتها فهي ـ لابد ـ ضائعة ومتهاوية.

ولك أن تقارن بين النموذج الذي أتى بدعوته، ويعرف حقها عليه، فيسترخص بذل كل ما في وسعه لإعلائها حتى يظهر أمر الله، وتتحقق المصالح الشرعية التي جاءت من أجلها.

فحين عرفت قريش أن محمدا ـ عليه السلام ـ ماض في إصراره على دعوة الناس إلى الله الواحد، والانصراف عن الشرك والضلال ـ حاولوا صرفه عن دعوته. وسلكوا في ذلك طرقا من الترغيب تارة، والترهيب تارة أخرى

فقالوا لعمه أبي طالب: "إنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله حتى يهلك أحد الفريقين".

ولما سمع أبو طالب مقالتهم هذه بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: "يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق" فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا

لعمه منه بدا ، وحدثه بضعفه ، ومنطقه ، وأنه قد ضعف عن نصرته ، والقيام معه . فقال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

ولما رأى أبو طالب من الرسول الكريم هذا الإصرار على دعوته ، وتمسكه بها قال له . اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لأحد أبدا

ظل الكفار – مع ذلك – يؤذون المسلمين ، ويحاولون فتنتهم عن دينهم ، لكن الله تعالى منع رسوله منهم بعمه أبي طالب . ومكانته على منعه .

ولما كثر ما يلقاه المسلمون من التعذيب والأذى في سبيل إسلامهم كبلال وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت ، وغيرهم حتى اضطروا إلى الهجرة أولا إلى الحبشة ، وثانيا إلى المدينة .

وكان الكفار يشعرون أنهم في حرب مع من أسلم منهم . ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا الحبشة وأرض النجاشي وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، أرسلوا بعض رجالهم إلى النجاشي ليرد المهاجرين إلى أهل مكة فيفتنوهم عن دينهم وكان أن بعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص – قبل إسلامه – ومعهما هدايا إلى النجاشي ولكنه لم يقبل عرضهم برد المسلمين معهما ورد هداياهما بعد أن تبين

نه من كلام المسلمين أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق المبين و..
عليهم هدايتهم وذلك : لا حاجة لي بها .

إن الله تعالى قد أكرم نبيه وكفاه مشي معه ، لأنه ﷺ نفر على ...
الذي أرسله الله تعالى به ، وثبت المؤمنون على عقيدتهم فلم ينفروا ...
ولم يرغبهم عنه المشركون ولا عذر لهم ولا استهزاؤهم ...
وأموالهم . وحفظ الله تعالى رسوله بنصرة المنصورين من عنده وعونه .

استعمال النصح المقرون بالتصميم والإرادة حين يتطلب الأمر ذلك

لم يكن الرسول ﷺ متهوراً ، ولا مندفعاً بعاطفته ، بل كان صاحب الإرادة ، والعزيمة ، شجاعاً في نصرة الحق الذي جاء به .

ولم يكن يضيع نفسه في إطار الدعوة حتى لا يتعطل العمل من شره ، والخداع عنه [illegible] للأشياء .

وإبان نشأة الدعوة ، وهي تختلج بين هذه الأمور ، والتحديات [illegible] المصطفى ﷺ يفكر في طرق متعددة لإسلام بعض أشداء قريش حتى تقوى الدعوة من حيث [illegible] ، فالحق لابد له من قوة تحميه ، وتدافع عنه .

محمد ذو الأخلاق عن الحق إنه — هو الصادق ما قام الرسول بباطل
ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه — من الناس ما لم يلق أحمق جاهل
[illegible] — [illegible]

وفي الوقت الذي أوذي فيه المسلمون إيذاءً شديداً وحث الرسول أكبر عدد من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة .

وكان الرسول ﷺ يدعو : (**اللهم أعز الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب**) .

وفي قصة إسلام عمر ... كانت فاطمة بنت الخطاب ...
بنت عمر رضي الله عنه ... قد أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد
بن عمرو بن نفيل سرا، وكان خباب بن الأرت يأتيهما ليقرئهما القرآن
بين الحين والآخر.

وذات يوم خرج عمر بن الخطاب يريد الاعتداء على الرسول ﷺ
حين علم باجتماعه مع بعض المسلمين في بيت عند الصفا، ومعه حمزة
عمه، وأبو بكر، وعلي بن أبي طالب، لكن نعيم بن عبد الله لقيه
عمر متوشحا سيفه ... عن قصده، فقال له: قتل الرسول، فقال له
نعيم: عليك بأهلك أولا، فأختك وزوجها قد أسلما، فانطلق عمر إليهما،
وعندهما خباب، وكان عندهما صحيفة، فلما دخل ... ، ... عمر
وبطش بأخته وزوجها، ثم حاول أخذ الصحيفة التي كان يقرءان فيها فمنعته
منه أخته حتى أعطى عهدا لها ... بعد أن يغتسل، فاغتسل
وأخذ الصحيفة فإذا بها: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[1] إلخ
فما قرأ منها قليلا حتى قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، ففرح خباب،
وقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه
[اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين]، فالله الله يا عمر. ثم ذهب عمر إلى
مكان الرسول ﷺ في البيت الذي عند الصفا، فضرب الباب، فلما سمع
المجتمعون صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خلال
الباب فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع ...

---

[1] طه: ١ - ٢

فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف، فقال حمزة بن
عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن كان يريد
شرا قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: ائذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه
رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه، ثم جبذه
جبذة شديدة وقال له:

ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك
قارعة. فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء
من عند الله. فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب
رسول الله ﷺ

الرياضة منهج من مناهج الدعوة

لقد كان ﷺ يعامل الناس [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible] .

[illegible] الرياضة [illegible]
[illegible] طريقا من طرق الدعوة ، [illegible]
[illegible] ؟

إن الداعية إلى الله [illegible] على [illegible]
[illegible] ، [illegible]
الأمور [illegible] الدعوة [illegible] .
والرسول الكريم [illegible] لم يترك [illegible] إلا سلكه ، [illegible]
يدرك أن [illegible]
الطريق ليصل إليه .

وقد يعرف أن فلاناً [illegible] إلى الدعوة [illegible]
[illegible] رياضية فلا يتأخر عنها .

هذا ركانة بن عبد يزيد بن هاشم [illegible] من أشداء العرب [illegible]
يوماً [illegible] في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله ﷺ :
يا ركانة ألا تتقي الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟

فقال ركانة : إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك .

فقال له رسول الله ﷺ: أرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟

قال: نعم. قال: فقم حتى أصارعك، فقام إليه ركانة يصارعه، فما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئاً.

ثم قال ركانة: عُد يا محمد، فعاد فصرعه فقال ركانة: يا محمد والله إن هذا للعجب، أتصرعني؟

فقال رسول الله ﷺ: وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري.

وقد أراد النبي ﷺ بحسن التصرف أن يذهب بركانة إلى ما يبعده عن مذاهب أقرانه بالذي رأى وتحقق منه.

فالدعوة لا تكون بالكلام فحسب، ولكن بالسلوك أيضاً ومراعاة شرائح الناس وطبقاتهم وبيئاتهم بعضها تصل إلى القلوب، فما يمكن أن يصلح في بيئة قد لا يصلح في أخرى وما يصلح به شخص قد لا يصلح في معتقد شخص آخر، وما يقابل به إنسان قد لا يصلح مع غيره، ولذلك فإن ملاحظة الأحوال مطلوبة، وكان الرسول ﷺ ينزل إلى كل المستويات ويخالطها ويجعل نفسه واحداً منهم حتى يكون مألوفاً لهم فيستجيبون له بالمخالطة وحسن المعاشرة.

وما كان من هذا النموذج في الدعوة يفتح المجال أمام الداعية ألا يقتصر على وجوده في مكان معين كالمسجد فحسب، وألا يخشى من غشيان المجالس المتعددة والمقابلات التي تتيح له معرفة الناس بما يرشدهم إليه في مختلف أعمالهم وحرفهم وشكل وجودهم وما يأمرهم به دينهم من إتقان العمل وإجادته والحرص على نفعه لهم وللناس.

عقد الندوات بطلب الخصوم والحصافة النبوية

طالما طلب إليه ﷺ رجال قريش أن يحضر إليهم للنقاش ، والجدل ، والحوار علنا في اجتماعاتهم ، فكان ﷺ يحضر إليهم ، ويستجيب لطلبهم مناقشته في أمر دعوته ، ولم يكن ﷺ قد وضع حجابا على نفسه ، وأموره ، وإنما كان يؤمن بالتفاهم مع الغير يوضح لهم جوانب دعوته في المؤتمرات والندوات العامة .

وكان يسمع الاعتراضات ، ويجيب عليها ، ثم يطرح مسائل الدعوة ، وخصائصها ، ومشاكلها ، والحلول الصحيحة منها ، وأسسها ، والأهداف التي تنشر ، وتنمو ، وتتسع لها الصدور ، والعقول .

فهو ﷺ قد طرح أمر الدعوة ـ بعد صدعه بها ـ على أهله ، وعشيرته ، ومن يمت إليه نسبا ، وترك لهم الحرية للنظر والرأي ، ثم تحرير الصدور لهم في عبادة الله ، وترك عبادة الأوثان التي جاءوا إليها ورثوها عن ضلال من آبائهم .

وكان ﷺ يطلب عند ظهور الكتابة بعد حين أن يجمعهم إلى منزله ليعرض عليهم من أمر دعوته لتصحيح عقائدهم الباطلة ، وليبلغهم مسائل الدعوة لأن من التمهيد لها ، وعرضها عرضا حسنا جيدا دون إجهاد

تحولاتها ، أو كانت لبعض المخلوقات التي لا تسير على أربعة ممن الطائر ، أو الحائمين على الماء . ولو كانت هذه المخلوقات والعاقلات عنده لم تغرّ من القول .

لقد دعته ترمة في هذا الاجتماع بمطالب لا تصدر إلا عن قوم متعنتين مكابرين ، فلم يجبهم لما سألوا الحق ، ويبسط لنا النهار ، ويجري لنا الأنهار .

وقال بعضهم — كذلك — لنجعل لك جنانا ، وقصورا ، وكنوزا من ذهب وفضة ، حتى تستغني بها عن المشي في الأسواق ، والتماس المعاش .

وبعضهم طلب الصعود في السماء ، وبعضهم طلب نزول الملائكة يشهدون بنبوته ﷺ .

وكلها أسئلة عنت ، وتهكم ، وتعجيز .

ولكن الرسول الكريم كان يأخذهم بالرفق في الصبر ، ولم يكن مراوغهم بعيداً عن الهدف المطلوب ، فقال لهم ﷺ ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً . وجاء ذلك كله واضحاً في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان

ربي هل كنت إلا بشرا رسولا * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾[1] .

وهذا المشهد الحواري يوضح أن الرسول ﷺ كان يحرص على عرض دعوته بالحوار ، ويفتح العقل ، ويترك لمن يشاء أن يتكلم ، ثم لا يقاطع عليه كلامه ، ويوضح هدف دعوته ، وما جاء من أجله .

---

[1] الإسراء : ٩٣ – ٩٤

حدبه ﷺ
على المدعوين ورعايته لهم

على الداعية أن يكون حريصاً على هداية الناس [illegible]
[illegible] ويحول بينهم وبين [illegible]
[illegible] كما قال الرسول ﷺ : [أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها] .

فالرسول ﷺ [illegible] حريص على [illegible] كما وصفه ربه عز وجل بقوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم »[1]

وعلى الداعية أيضاً أن يعلم أن المدعوين لا يعرفون مصلحتهم [illegible] ويدلهم على طريق الخير [illegible] تعالى . وكما قال ﷺ : " إن الرائد لا يكذب أهله " ، فهو [illegible]

[1] التوبة : ١٢٨ .

ويبيتهم في ـ الجنة هو تعهدي ، ويشفق على أصحاب [illegible] من جهد البلاء والبلاء .

وكان ﷺ لا يلتفت إلى إعراضهم عنه ، بل يعاود دعوتهم إلى الله ، وكثيراً ما كان يكلف نفسه التعب ، والمشقة الكبرى في هدايتهم ونصحهم حتى قال له ربه : «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا»(١) .

وحين آذوه ﷺ سعى إلى الطائف ، ومضى يدعو : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك» .

وقد جاء في الخبر أن جبريل ـ عليه السلام ـ نزل عليه ﷺ ومعه ملك الجبال فقال له : إن شئت أطبق عليهم الأخشبين [جبلان] فقال : لا . اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، وقال ﷺ : «لكل نبي دعوة مستجابة وادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» .

هكذا كان حلمه ﷺ وتمسكه بهداية قومه مما هيأ للمستضعفين عليه أن يستجيبوا ويدخلوا في دين الله .

---

(١) الكهف : ٦

طريق الدعوة ليس طريق العنف والقسوة
بل طريق الأخذ بالحسنى

إن الرسول ﷺ هو خير [illegible] في الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]

[illegible]
[illegible] الرسول ﷺ [illegible]
[illegible] الرسول ﷺ [illegible] رسول الله
[illegible]
[illegible] رسول الله ﷺ
[illegible]
[illegible] رسول الله ﷺ [illegible]
[illegible]
رسول الله ﷺ [illegible]
الله ﷺ [illegible]

[illegible]
[illegible] الرسول الله

[1] النحل: ١٢٥.

حتى سمع به فدعاه الرسول ﷺ إلى الله ، وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي . فقال له رسول الله ﷺ :

وما الذي معك ؟

قال : مجلة لقمان (يعني حكمة لقمان) .

فقال له الرسول ﷺ :

اعرضها علي . فعرضها عليه سويد .

فقال له الرسول الكريم ﷺ : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علي هو هدى ونور .

فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه .

وهنا نرى الكلام الهادئ الحسن للإقناع بالحجة في غير شدة وغلظة ، يؤثر في المدعو أثره المحمود ، ويفتح مجالاً لمعرفة أسس الدعوة ، ومعانيها ، وحسن الاقتناع بها ، ونشر ما تتضمنه من هداية ورشد .

فليست الدعوة إذاً بالقهر والجبروت ، وليست بالعنف والتسفيه ، ولا بتخطئة الآخرين وتسفيههم على أقوالهم وأفكارهم ولا بإجبار أو حملهم ، بل لا بد أن يكون فيها التوضيح والأخذ بالفكر والتحليل والفهم ، والتسوية بالمنطق والتعريض بدل التصريح وإعطاء المهلة للمخاطب أن ينظر فيما يعرض عليه وأن يأتي إليه طائعاً مختاراً إذا وجد أن الصواب في الدعوة

إليه ، ويلي بين المخاصمين بالحق والصدق لا بالمغالطـــة والتعصـــب يفسح المجال للأخذ بالصحيح من الصفات والأفكار

وهذا كان المنهج الذي سلكه الرسول ﷺ في دعوته إلى الدين الحق، الدعوة الموضوعية وتحمل الشك من جميع أنواعها .

عرضه ﷺ نفسه على القبائل في المواسم

كان الرسول ﷺ يعرض نفسه فــي المواســم ــ كمواسم الحج وغيره ــ يدعو القبائل المجتمعة إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويطلب منهم الإيمان ، ومعاونته على نشر دعوته ، وبيان ما بعثه الله به .

فكان ﷺ يقف على الأقوام ، ثم يقول :

يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوني ، وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به .

ومن الأقوام الذين عرض نفسه عليهم بنو كلب ، وبنو حنيفة ، وبنو عامر .

وبعض هؤلاء ــ الذين كان يعرض نفسه عليهم ــ كان يصدهم الكبر ، والبعض غرهم الغرور .

ولكن ما لبث الأمر حتى استجاب بعض الأفراد الذين ... من قبائل العرب ، ومن هؤلاء رهط الخزرج الذين اجتمعوا عند العقبة ، وأراد الله بهم خيراً ، فحين كلمهم الرسول ﷺ في أمر الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن قال بعضهم لبعض : تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم إليه ، فاستجابوا وصدقوا الرسول ﷺ ، وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام ، وبدأوا بإصلاح ذات

الذين بين قومهم – من الخزرج والأوس – للدخول في الإسلام ، ووعدوا بأن يدعوا قومهم إليه ورجعوا إلى قومهم وقد أسلموا وصدقوا ، وكان عددهم اثنا عشر رجلاً ، وهذا في بيعة العقبة الأولى .

وقد أرسل الرسول مع القوم مصعب بن عمير بن هاشم ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، وكان يصلي بهم في المدينة .

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج مع الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج من قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ على اللقاء الثاني في العقبة – بعد الفراغ من الحج – فلما فرغوا منه اجتمعوا في الموعد المحدد للقاء الرسول ﷺ ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو .

وكانت البيعة على الدفاع عن الله ، ومنع الرسول ﷺ مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، وعلى السمع والطاعة في عسرهم ، ويسرهم ، ومنشطهم ، ومكرههم ، وإيثار الرسول على أنفسهم ، وألا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا بالحق أينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فضربوا على أيدي الرسول وبايعوه .

وقد قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم كفلاء ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، ثم قال لهم الرسول : أنتم على قومكم بما

فهم كذلك كالعلاقة المرابين نصحي او مومن . وقد كان على قومه —
نعم المسلمين — فكذا نعم

وقد أسهم ذلك في اعزاز الإسلام ، ونصرة دين الله

الهجرة وحسن التخطيط لنهضة الأمة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الهجرة

[illegible]

[illegible] وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين[1].

[illegible]

(١) الأنفال : ٣٠

[illegible] فأغشيناهم فهم لا يبصرون»[1].

ثم كانت [illegible] أبي بكر [illegible]

[illegible]

[illegible] الرسول ﷺ [illegible]

[illegible] الأنصار [illegible]

---

(1) [illegible]

المهاجرين إليها [illegible] الأنصار [illegible]

[illegible] المهاجرين [illegible] بأن يتنازل لأخيه

المهاجر عن شطر ماله كما [illegible]

[illegible] المهاجر [illegible]

[illegible] قوله تعالى: ﴿للفقراء

المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله

ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا

الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم

حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق

شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (1).

[illegible] من ذلك [illegible] الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار [illegible]

كل واحد منهما الآخر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إلى [illegible] الذين آمنوا

(1) الحشر: [illegible]

وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »[١].

فشكلوا لحمة المسلمين ، تلك هي الوحدة والامتزاج الكامل والتلاحم بما هو أقوى من أواصر القرابة في النسب فهم متكافلون يرث بعضهم بعضا وجعل الله تعالى ذلك شأناً خاصاً بالمهاجرين فقط – أما من لم يهاجر فلا يرث الأنصاري ولا يرثه الأنصاري ، لكن مع ذلك إذا استنجد به يجب نصرته ومعاونته ضد من يعتدي عليه : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا »[٢] . ــ أي ليست لهم النصرة السابقة في الميراث ــ « وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر »[٣]. ــ يعني يجب أن تناصروهم على عدوهم إذا استنجدوا بكم ــ ويجعل الإسلام المسلم أنه لا يعتدي على من يسالمه ويعاهده ضد الاعتداء على أهل الذمة ، فالإسلام لا يقاتل إلا من يعتدي عليه « إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير »[٤] . ثم طلب من المسلمين عدم التعاون مع الذين يعتدون عليهم من أهل الكفر والضلال فقال لهم « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض »[٥] ، ونبه على أن هذه الفئة مصدر للعدوان مع

---

(١) الأنفال ٧٢

(٢) الأنفال : ٧٢

(٣) الأنفال ٧٢

(٤) الأنفال : ٧٢ .

(٥) الأنفال ٧٣

لأعدائه به لتميز الجماعة كما قال تعالى : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »(١) .

ورفع القرآن الكريم وسام على صدر المهاجرين والأنصار لأنهم رفعوا شعار التعاون والتكافل ومناصرة الحق ونجدة المستضعف ، ومعاونة المحتاج لتكوين أمة مسلمة قوية من حول العالم بعد الفتن فيها بحاجة إلى الغير ويدافع عن مصالحه ويشتى مشكلاته ويحلها وهم يد واحدة على من سواهم « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم »(٢) .

فما أحرانا أن نكون مثلهم وأن نعمل على المغفرة والرزق الكريم فعلينا أن نتعاون فيما بيننا وأن يكون الأفراد والدول الإسلامية على مستوى المسئولية من الدفاع عن حقوق المظلومين منهم ، والوقوف بجانب من يحتاج إلى المساعدة ورد العدوان عنهم لتعود للأمة مجدها كما كانت دولة الإسلام الأولى .

وفيما لقيه رسول الله ﷺ والمؤمنون المهاجرون من مشقة في الهجرة وما آلت إليه من قيام دولة الإسلام أقول :

ولاقى نبي الخير أصعب رحلة ... ولاقى صبرا في الخطوب جميلا

تقاذفه أيدي الجبال وصخرها ... ويحضنه قلب الرمال مهيلا

على كاهل الرمضاء فوق رمالها ... يقبلها برد النسيم خضيلا

---

(١) الأنفال ٧٣

(٢) الأنفال ٧٤

ويهبط رضوانا يفرش غبارها   ويسلك في غور الوهاد جدولا

ويسكن شدوها مع الليل زاهرا   ويؤنس في داجي ظلالا وعولا

***

وسار رسول الله قاصد طيبة   ونحلو الأماني كرجاء دليلا

نقيه آمال الشعوب مشيدا   مغاني عهد كالربيع خضيلا

ودولة عز يستطيل بناؤها   ويبلغ رعب الغافلين شمولا

وينشر فيها من مبادئ عدله   حياة بلا ظلم تدوم طويلا

ويبقى بها حق يسود نهاره   ويزهق ليل بالصباح أصيلا

***

معالم بارزة في الهجرة النبوية

[illegible]

[illegible]

١ المعلم الأول : صدق العزيمة والصبر على المكاره .

[illegible]

[illegible]

٢ – المعلم الثاني : الهجرة معلم بارز للانتصار بوسائله حسن وضع الصور الحضارية البشرية وعدم نجاحها :

[illegible]

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .

[illegible]

[illegible]

[illegible] وقال ﷺ : [لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة]

[illegible]

[illegible]

٣ المعلم الثالث : البحث عن مواطن أخرى تستوعب فيها الدعوة :

[illegible]

[illegible] : [رأيت في منامي أني أهاجر إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب] [illegible]

[illegible]

٤ المعلم الرابع : نصر الله وقوة الإيمان أقوى من قوة السلاح :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ [1]

[illegible] ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ [2] [illegible] ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [3]

[illegible] [كنت مع النبي ﷺ في [illegible]

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]

الغار فرأيت رسول الله [illegible] بالقدام القوم ، فقلت : يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا . فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما !

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [1] .

وفي ذلك قال [illegible]

في غار ثور نبي يكرم [illegible]   فوقف تحيرت فيه المواكب

والكفر في عصفه مهما يزد عصفها   فإن سيحرسه ربه ومسؤول

ويغزل الله مما شاء [illegible]   ويملأ الرعب فرسان وخيول

وحول جحر له في كل ناحية   جند خلاقة لهم فتك وتنكيل

---

[1] العنكبوت : ٤١

والعنكبوت به تبني بلا وهن

بيوتها لا كما تبني السرابيل

حمامتان بمحض البيض قد غفتا

على عشيهما ولكن عشه غيل

فخاف أرسالهم بالغار في عجل

ولم يحوجسوا، وأفضى القوم ترسيل

وقد ظهر صدق الرسالة المحمدية، والعناية الإلهية حينما هم سراقة بن مالك بن جعشم أن يلحق بالرسول ﷺ وصاحبه ليحصل على مكافأة قريش لمن يأتي بهما حيين أو ميتين، لكن سراقة فشل في الحصول عليهما لحماية الرسول ﷺ وصاحبه، وقد حدث سراقة نفسه عن تلك القصة كما يروي البخاري، فقد حاول أن يحصل على هذه المكافأة حينما جاءه رجل وأخبره أنه رأى أسودة تبدو من بعيد ويظن أنهم محمد وصاحبه والرجل الذي يعرفهما الطريق، حيث أراد أن يضلل الرجل سراقة فقال: لا ليس هذه الأسودة رجلان يبحثان عن ضالة لهما ثم تنحى، ولبس لامته مخفيا رمحه، وأخفى بريق سيفه حتى لا يراه أحد وركب فرسه وأسرع بها إلى أن دنا من الرسول وصاحبه حتى عثرت به فرسه فسقط عنها فاستخرج السهام التي كانت معه ليقترع بها ليعرف هل يستمر أو يرجع فخرج الذي لا يحبه ولكنه عاد واستمر في عدوه، لكن سراقة استمر في ملاحقة الرسول الكريم وعصى الأزلام حتى سمع قراءة النبي ﷺ وراءه، والنبي لا يلتفت

وهو بكر يلتمس ثنيا فيجد بها أثره في الأرض حتى يهتدي إليه ،

وفي رواية أخرى ... فتوسطت به فرسه إلى بطن الوادي فخرجت قدماه

وإذا الأثر ... سطح أو دخان ساطع ... أمن من ذلك ... بالعطر

على نفسه ويقول : إنه وقع في نفسه حين لقي ما لقي أن سيظهر أمر

رسول الله ﷺ ... ثم أسلم وكتب له الرسول كتاب أمان .

وفي ذلك قال في قصيدته اللامية .

سرقة الشد جوابا به فسمعني

يسابق الريح في ... الأعراب مرحول

وصرح ... لما ثار عاثره

وأدرك الـــــركب لدن حله حول

على ... به والهيبة ارتعدت

لما سما وسنين شعـــــر مطول

ونال منه غبار ساطع رعلا

مثل السحب له في الأفق تخييل

فصاح يبغي أمانا فاستجيب له

وحط خاتم رســــول الله تكميل

٥ ــ المعلم الخامس : التعاون والقضاء على شبح التحسس لقدام بالأنصار :

هذا المعلم الذي ظهر الرسول الكريم بإسلامه وبين العرب الناس ولرسول الله ﷺ ، ... رسول الله ﷺ ... من الأنصار

في مواسم الحج السابقة على الهجرة في بيعتي العقبة الأولى والثانية ، وقد آووا المهاجرين ، وعملوا على نشر الإسلام ، وضحوا بأموالهم ، ولما حدثت الهجرة كان الأنصار خير عون للمهاجرين ، فامتدحهم المولى سبحانه بقوله : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن زيد بن عاصم : [لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا أو شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار] .

فالنبي ﷺ يشير إلى بعض فضائله وشمائله للأنصار ، فلولا الهجرة لانتسب للأنصار لمكانتهم وحبه لهم ، ولو أن الناس سلكوا مسلكا مختلفا عن مسار الطريق الذي يسلكه الأنصار [illegible] الأنصار [illegible] وهم [illegible] والناس دثار – وهو الثوب الخارجي [illegible] – [illegible] إلى [illegible] عند ملاقاة العدو .

وهذا المدح للأنصار من رحمة الله بهم وعظم منزلتهم عند الله تعالى .

وجاء المدح من المولى سبحانه للمهاجرين أيضاً حيث قال تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً

---

(١) الحشر ٩ .

من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾[1].

ومدحهما معاً حين قال سبحانه : ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾[2] ، ثم قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[3]

ومن سار على دربهم لهم مثل جزائهم مصداقاً لقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾[4]

علينا أن نقتدي بهم في المؤاخاة والصبر على الشدائد [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible]

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال فلاح

* * *

---

(1) الحشر : ٨ .
(2) الأنفال : ٧٢ .
(3) الأنفال : ٧٤ .
(4) الأنفال : ٧٥ .

الهجرة والتضحية

كان المهاجرون من المسلمين الأوائل [illegible] والأنصار يرجون رحمة الله تعالى قال سبحانه: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ [1].

[illegible] رحمته [illegible] وكانت لهم من [illegible] الرفيعة [illegible] في الدنيا [illegible] الله ورسوله [illegible] قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ [2].

[illegible]

كيف يستحق رحمة المتخاذلون [illegible] ؟

---

[1] البقرة: ٢١٨.

[2] التوبة: ٢٠.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لهذا لا يجرؤ [illegible]

[illegible] :

الخوف على النفس ، الخوف على المال ، الخوف على [illegible] ،

الخوف على الديار ، الخوف على الأولاد ، حتى [illegible]

[illegible] .

[illegible]

[illegible]

[illegible] كما قال تعالى : ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ﴾ [1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] تعالى : ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ [2]

---

[1] الحج : [illegible] .

[2] النحل : ٤١ .

[illegible]

﴿ ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴾ [1].

[illegible]

[illegible] ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ [2].

---

[1] الحج: [illegible]

[2] آل عمران: ١٩٥.

التماسك والموازرة أساس قوة الدعوة الإسلامية

[illegible]

وعمل على أن يكون المسلمون من المهاجرين والأنصار يدا واحدة لا تفرقهم [illegible] ولكل منهم معونته وإمداده [illegible] كما يقول تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ (1)

لقد اتحد الأنصار [illegible]

وقد كتب الرسول ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم [illegible] الكتاب: « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين

---

(1) آل عمران: 103

للمؤمنين والمسلمين من [illegible] ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم فهم أمة واحدة من دون الناس .

[illegible]

[illegible]

أحد على أهل هذه الصحيفة [illegible]

[illegible]

ومحمد رسول الله ﷺ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

لقد كان رسول الله ﷺ دعا الدعوة إلى وحدة الكلمة ، وتقوية الصف ، علاجاً على هذه الفرقة ولسف الخلاف . لذا عمل مسن محضورة عقب هجرته إلى المدينة على القضاء على آثار العداوة ومسيرتها .

فقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة . وتلك الأخوة عامل وطيد لقيام الدولة على تعاون الجميع وتماسكهم وتوادهم .

فجمع الرسول ﷺ بين أخ مهاجر وأخ أنصاري ، حتى كان المسكن بينهما مشترك والمال مشترك ، والمجتمع واحد بينهم كل يحسن إلى أخيه .

فكان أبو بكر الصديق وخارجة بن زيد (من الخزرج) أخوين . وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك (من الخزرج) أخوين . وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع (من الخزرج) أخوين ، وهكذا .

ومن هذا الوقت انطلق المهاجرون يعتمدون على هذه الأخوة في القضاء على طلب الرزق لم تترك ساحة للعمل وتجارتها ، بل فتحوا لها باب العمل وفتح أبواب الرزق .

وقد أخرج البخاري في مناقب الأنصار ، باب : إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال : لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : إني أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها ، قال فقال له عبد الرحمن : لا حاجة لي في ذلك ، هل من سوق فيه تجارة ؟ فدله على السوق ، [illegible] عبد الرحمن [illegible] ، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة ، فقال رسول الله ﷺ : تزوجت ؟ قال : نعم ، قال : ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار ، قال : كم سقت ؟ قال : زنة نواة من ذهب — أو نواة من ذهب — فقال له النبي ﷺ : أولم ولو بشاة .

[illegible] عبد الرحمن بن عوف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (١) .

وقد كانت هذه المؤاخاة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتحقق للمهاجرين الأمن [illegible] بعد مفارقة الأهل والأحبة [illegible] مكة وكان ذلك عاملاً في نصرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

---

(١) صحيح البخاري ، ج٥ .

وبذا يسمو الإسلام [illegible] العصبية [illegible]

الجاهلية [illegible]

[illegible]

[illegible] كما قال تعالى: ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾[1] [illegible]

قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[2].

[illegible] قال تعالى: ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[3].

* * *

---

[1] الأنفال: ٧٥.

[2] الحجرات: ١٠.

[3] الحشر: ٩.

منهج الرسول ﷺ أن يكون القتال دفاعا لا هجوما

جاء الرسول ﷺ برسالته لهداية الناس، [illegible]
[illegible]

[illegible] أن الرسول ﷺ [illegible]
[illegible] « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » .

[illegible] من منهج الرسول ﷺ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من مشركي مكة [illegible]
[illegible] عن سبيل الله .

[illegible] أن الإسلام لا [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible]

يقول تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث

أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴾[1]

وقوله سبحانه: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾[2]

[illegible] الدفاع [illegible]

[illegible]

[illegible]

وكذلك [illegible]

وأنواعه على المسلمين في [illegible]

[illegible] وهكذا.

---

[1] البقرة: ١٩١ – ١٩٢.

[2] البقرة: ١٩٤.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أمرت أن أقاتل

الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الإذن بالقتال

[illegible]

والمسالمة، والصبر في دعوة قومه [illegible]

[illegible] في [illegible] الدعوة [illegible] أنهم [illegible]

وكان الرسول ﷺ مع ذلك [illegible] لا يعلمون).

[illegible] على الأذى [illegible]

[illegible] من مكة كالحبشة، والمدينة [illegible]

[illegible] أصحاب [illegible] في الإسلام [illegible]

[illegible] وأهله

وبما أن الكفار لا يستطيعون [illegible] بقوله [illegible] إليهم [illegible] عليه ، [illegible] معه ، [illegible]
به .

ولما كانت [illegible] أصبحت في [illegible] الإسلامية [illegible] تعالى : « أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »[1]

فأذن المولى عز وجل لرسوله بالقتال لدفع الظلم الذي [illegible] المسلمين ، ولم يكن لهم ذنب إلا أنهم يعبدون الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

---

[1] الحج : ٣٩ – ٤١

وقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾[1].

أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، وحتى لا يعبد مع الله غيره.

وهكذا كان القتال للدفاع حماية للدعوة ضد مظالم الأعداء التي كانت تعوق الدعوة وأهلها.

وهكذا إذا نظرنا إلى الغزوات التي تمت للدفاع عن الدعوة والمسلمين — فهذا رسول الله ﷺ يوم بدر ينادي أهل القليب — وهم قتلى المشركين الذين قتلوا في بدر — يقول لهم: [يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس. ثم ناداهم: يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام — فعدد من كان منهم في القليب: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا؟] فقال المسلمون: يا رسول الله تنادي قوما قد جيفوا؟ فقال: [ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا].

---

[1] البقرة: ١٩٣

انتصار بدر والدفاع المشروع

لم يكن الإسلام يوما ما مهادنا أو مستضعفا ، فقد لاقى المسلمون صنوف الإيذاء والابتلاء ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : [لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال] .

وكانت قريش تؤذي المسلمين من أتباع رسول الله ﷺ حتى يفتنوهم عن دينهم ، وكل قبيلة كانت تؤذي المسلمين منها بالضرب والجوع والعطش ، ويضجعونهم على الرمل الساخن إذا اشتد الحر وكان النبي ﷺ يحثهم على الصبر ، وكانوا يسألونه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم ، ثم عزم على ذلك ونصحهم ألا يصرفهم الأذى عن عقيدتهم وإيمانهم ويبشرهم أن الله تعالى سينصر دينه وينشره في الأقاليم والآفاق ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يؤذون ويكذبون على الرغم من المعجزات التي شاهدوها ، قال تعالى : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾ (1)

ولما عظم البلاء بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فقال لهم : [لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد

---

(1) الفرقان : 41 .

وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه] ، فخرج [illegible]
صحب رسول الله ﷺ [illegible] إلى أرض الحبشة [illegible]
[illegible]
[illegible]
بعد حين [illegible] الأولى والثانية ، وفتح الله باب الهجرة إلى المدينة
فبادر إليها وهاجر إليها من هاجر من المسلمين في مكة [illegible]
من [illegible] إلى المدينة [illegible] المشركين [illegible]
على [illegible]
وأصحابه في المدينة [illegible]
وأصحابه [illegible] الآيات الكريمة [illegible] [أذن للذين يقاتلون
بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير
حق إلا أن يقولوا ربنا الله] (١) .

وأراد المسلمون أن يستردوا بعض أموالهم التي سلبها المشركون
حين سمع رسول الله ﷺ بعير قريش قادمة من الشام في طريقها إلى مكة
فقال : [هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله تعالى
ينفلكموها] .

(١) الحج ٣٩ – ٤٠ .

[illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾[1].

[illegible]

[illegible]

﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ [illegible]

[illegible]

أسلوب المعاهدات والصلح

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يا ويح قريش لقد نهكتهم الحرب . ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب . فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا . وإن أظهرني الله تعالى

عليهم دخلوا في الإسلام [illegible] لا تزال تحافظ على [illegible]
[illegible] حتى يظهره [illegible] السالفة [illegible]

[illegible]
[illegible] ولا هو لها بخلق [illegible] ولكن [illegible]
[illegible] قريش [illegible] في خطة يسلكونها فيها [illegible]
[illegible]]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]]

[illegible]
[illegible]

لاكتشفناه كنت في مصالح الدعوة الإسلامية ، وقد سمعنا [illegible] ـ فقد
قال : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن
شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا
فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » [1] .

فلقد كان الصلح [illegible] بعضهم [illegible] في النفس
[illegible] ولا [illegible] في الإسلام [illegible]
الصلح [illegible] في الإسلام [illegible]
وأكثر منه .

(1) الفتح : 27

استعمال الحكمة في التعامل لإنجاح الدعوة

إن الداعية لابد أن يستعمل الحكمة ، وأن يكون ذا فكر وبصيرة تحسن دعوته ، وهي تحتاج إلى من يخطط لها ، فالدعوة ليست بالكلمة وحدها ، وإنما هي بالعمل وحسن التصرف ، وإنقاذ الأمور حتى تتم .

والدعوة تحتاج إلى الحماية لها ، والدفاع عنها ، ودفع الأذى لها .

ومنهج التصرف الإسلامي يقتضي البحث عن المداخل والمخارج ، والوعي الكامل المحيط بالإيجابيات والسلبيات التي تدعو إلى الحفاظ على المنجزات . والدعوة الناشئة تحتاج إلى منهج دقيق للأمور ، لا يهتم بالظاهر من الأمور ، وإنما بحقائق الأمور الحسنة لكونها ، مهما تخللها الأخطار ومكائد الخطب .

فصلح الحديبية ـ الذي عقد بين الرسول ﷺ والمسلمين معه ، وبين المشركين ـ اشتمل على بعض الشروط القاسية ظاهراً .

لم يأبه الرسول ﷺ بالساحة الكامنة في كتابة شروط الصلح ولم يهتم بالشكليات حتى ما كان يهتم بالجوهر ، وما يعود به على أمر الدعوة ، وانتشارها ، من حيث لا يعلم من حوله ذلك .

دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ليكتب شروط الصلح ، فقال : [اكتب بسم الله الرحمن الرحيم] . فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : [اكتب باسمك اللهم] ، فكتبها ، ثم قال : [اكتب : هذا ما صالح عليه

محمد رسول الله سهيل بن عمرو] . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول
الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله ﷺ :
[اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو] .

واصطلحا على إيقاف الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف
بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده
عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن من أحب أن
يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش
وعهدهم دخل فيه ، وكان ذلك أثراً في قوة الدعوة مستقبلاً ، والتمكين لها
لكثرة المتعاملين مع الرسول ﷺ ، وإن ظهر من بعض الشروط حيف
فيه حيفاً بعيد ، إلا أنه كان في صالح الدعوة . فقد أفاد الدعوة
المستضعفين الذين كان يردهم الرسول ﷺ على قريش ، كقصة أبي بصير
الثقفي لما بعث الذي قدم المدينة هارباً من قريش فأرسلت في إثره رجلاً
من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم ، ورده الرسول معهما لأن الرسول
لا يغدر ، ومع ذلك قتل أبو بصير الرجل من بني عامر بصحبته ، ثم كون
هو وبعض المستضعفين الذين كانوا حبسوا في مكة فهربوا ، وكونوا فريقاً
وصل إلى سبعين رجلاً ، وضيقوا على قريش حتى كتبت قريش إلى
رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم ، ومن أتاه فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم
رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه في المدينة ، وهكذا تبين أن الشرط كان في
صالح المسلمين لا ضدهم .

ومن خطط نجحت الدعوة المحمدية بهذا المنهج .

سياسته ﷺ في الدعوة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هذا المجتمع الإسلامي [illegible] في المدينة [illegible] الدعوة الإسلامية

[illegible] [illegible] المسلمين [illegible] من شره .

أما المسلمون من أهل مكة الذين [illegible] النبي ﷺ [illegible]
مكة [illegible]
من أهل مكة [illegible] النبي ﷺ [illegible]
[illegible] في هذا الأمر [illegible] .

ولكن هؤلاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] .

[illegible] .

منهجه صلى الله عليه وسلم
منهج تأمين الناس على حقوقهم

إن الرسول ﷺ يهيب بدعوته للناس أن لا يأخذوا شيئاً بغير حقه ، ويحرم المال في الزهد فيما في أيدي الآخرين ، وإعطاء حقوقهم لهم لا يعتدي أحد عليه . فجماعة المسلمين هي جماعة الحق تلتف به لأصحابه .

وكان كل همه ﷺ أن يعرض الرسول دعوته على الناس وهي تقوم على عبادة الله الواحد ، وعلى الثبات أن أي مواطن في ظل هذه الدعوة له الحق كاملاً غير منقوص ، وأن دخول الدعوة الإسلامية وانتشارها في بلد معنى عدم المساس بما للآخرين من حقوق .

فهذا علي بن أبي طالب ــ يوم فتح مكة ــ يأخذ مفتاح الكعبة في يده ، والنبي ﷺ في المسجد الحرام ، فيقول له : يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة والسقاية صلى الله عليك ، فقال له الرسول ﷺ [أين عثمان بن طلحة ؟] فدعي له فلما حضر قال له : [هذا مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء]

إن الغزاة الفاتحين إذا تمكنوا من شيء لأخذوه سلباً ونهباً ، واستأثروا به لأنفسهم ظلماً وجشعاً وعدواناً ، وكم عرفت البشرية من حملات حربية على مقدسات أمة زعزعتها ، وأفرغتها ، وسلبت كل

ما هي أبجديات من معالم الحضارة ، أو مقتضيات الشرف ، وقد عانى المجتمع العربي والإسلامي في كثير من الفترات من ويلات الحروب الاستعمارية التي استولت على مقدراته ومخصصاته ، وموارد وإرادته ، وتركته يئن من آلام الفقر والمسكنة ، ولا تزال لم تنته ، وكم عانى غيرها كذلك .

ولكن رسول الله ﷺ يبين أن دعوته لاحتلال المعمورة ، وأنه لا يحمل شيئاً إلا من أجل الدعوة إلى الله لا طمعاً في مال ، ولا في سلطان ، ولا في زعامة وإنما يعني نشر عبادة الله ، والعمل لتوجيه الناس إلى الخير وهدايتهم لمستقيم الحياة .

ومثلاً يرى صاحب هذه الدعوة كل شأن ، ويعطي لكل صاحب حق أن يبقى حقه في يده وتحت تصرفه ، وأنه لم يكن على ملته ، ولو لم يدخل في الإسلام ، فهذا عثمان بن طلحة الذي أعطى الرسول في يده — وهي بيد أسرته — مفتاح الكعبة لم يكن قد أسلم بعد ، ومع ذلك بقي هذا الأمر له واستمر إمساك مفتاح الكعبة بيده لا يعدو عليه ولا على شيء من خصوصياته الشخصية والاجتماعية والدينية على سواء .

الحلم والكرم من مناهج الدعوة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى
يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه [1]

[illegible] الأسس التي تم
عليها [illegible] الدولة الإسلامية [illegible] المثل الأعلى في [illegible]
[illegible] القيم الإسلامية التي [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلام لا يقوم على العنف والقسر .

[1] [illegible]

أو عنادى، بل يعد من الإمعان بالصحة والتأويل، ومن حرص الأمير أن يسلم أصحاب الرأي والمشورة، وأن يأخذ بالآراء المختلفة في معالجة الأمور.

ها هو ذا النبي ﷺ يتصدى لبعض المعارضين، فيقابلهم بالحجة، ويبين لهم أنه لا يحيد ولا يحابي فيما يوجه إلى شخصه الكريم من لوم على تصرف - أو نقد أو وجهة نظر - إذا اعترض على حكم أمضاه.

ويعالج هذه المواقف بما يتسم بحصافة الحكم، وسلامة الحس ورجاحة ورشاد.

ثم إنه في مجلس وزرائه، ومستشاريه يعالج مسائل الأمور، فلا يدع الأمر يفلت من يده، فيصحح لهم وجهات النظر، ويقطع منها ما يراه مدعاة لكسر الصولة، ويسعى لمصلحة أهلها دون أن يستعمل القسوة أو الانتقام.

يحدث أبو سعيد الخدري - فيما رواه البخاري بسنده - قال: بعث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة (وهي قطعة من الذهب التي يعدها المسلمون من أعلاها) وكانت تبرًا، فقسمها النبي ﷺ بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال أبو سعيد: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: [ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً؟] قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار،

فقال يا رسول الله : اتق الله ، قال : [ويلك ، أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ؟] قال أبو سعيد : ثم ولى الرجل ، قال خالد بن الوليد ، وفي رواية : قال عمر : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ فقال ﷺ : [لا ، لعله يكون يصلي] ، فقال خالد : وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه . قال رسول الله ﷺ : [إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم] قال ثم نظر إليه وهو مقفٍ (يعني وهو منصرف مولٍ) فقال : إنه يخرج من ضئضئ هذا (أي من نسله) قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وأظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود[1] .

وترى - أيها القارئ الكريم - من هذا الحديث أن النبي ﷺ قسم الذهبة بين أربعة نفر كلهم من المؤلفة قلوبهم ، ولما تطاول الرجل الأول معترضاً على هذه القسمة متهماً النبي ﷺ على أنه نبي الله الأمين على وحيه ، وأنه لا يتصرف إلا بما فيه المصلحة للأمة ، ونفع عبادها ، ولما يقسمها ، أراد كبح الكافرين ومنع أهل الشغب من إحداث القلاقل والفتن ، ولما قام الرجل تلقى روحه النبي ﷺ بحلمه العظيم ، قائلاً له : اتق الله . كان النبي ﷺ متحلياً في رده بالحكمة السياسية والخلقية ، وبحلمه الواسع ، وصدره الرحب ، إذ لا يقبل أي إنسان يتربع السلطة على بعض مرؤوسيه ، أن يوزع عائداً من موارد الدولة على بعض الناس ممن يراهم أكثر حاجة من غيرهم ، لا يقبل أي إنسان غير ذلك أن يوجه إليه التهم

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ج ١٥ ، ص ٧

على هذا التصرف [illegible] [illegible] ، [illegible]
في إصلاح طائفة من المجتمع .

ولو أن الأمة [illegible] في معالجتها [illegible]
الحديثة [illegible] على [illegible]
[illegible] .

ولما أراد بعض كبار الصحابة قتل [illegible] النبي ﷺ [illegible]
[illegible] الصلاة [illegible] .

والنبي ﷺ يعامل الناس بحسب ظواهرهم ، لا بحسب [illegible] من
أمورهم ، ويحذر الرسول ﷺ [illegible] الأخذ بالشبهة والظنة ،
ولم يحكم على الرجل بأنه كافر أو منافق [illegible] لا يحكم على [illegible]
بالله [illegible] ، فالأمور [illegible] لا يعلمها إلا الله سبحانه
فإنه لم يأمر بالأخذ بالشبهة والظنة [إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس
ولا أشق بطونهم] .

ثم نبه النبي ﷺ على ملاحظة هذا الصنف من الناس ، وأنه [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] من خاصة أولياء الأمور .
وعلى الأمة أن [illegible] مثل هذا [illegible] ، فهو شر
[illegible] .

ملاقــاة الوفــود
وشرح الدعوة لهم

لم يكن النبي ﷺ في سنة تسع [illegible] كلها ، وإن بعث جهده في الوفادات التي قدمت عليه [illegible] وجوههم إلى المدينة ، وكانت تلك الوفادات تقوم على [illegible] وجهه لهم [illegible] وفكر [illegible] الإسلام ، وإنما يلتقي بهم في حفاوة وترحيب ، ويسمع منهم ويعرض عليهم ما جاء به من ربه ، ويطلب منهم [illegible] أنهم سيجدون فيه خيرهم في الدنيا والآخرة .

فها هو وفد تميم يقدم على رأسه عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي في رجال من أشراف بني تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمي والزبرقان بن بدر التميمي أحد أشراف بني سعد وغيرهم ، ويتنادون الرسول ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد ، وهذا أذى رسول الله ﷺ من صياحهم فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئنا نفاخرك ، ونزلت فيهم : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [1] .

(1) الحجرات : ٤ .

وقد تركهم الرسول ﷺ على ضعفهم وسمح لهم أن يفخروا بما يريدون، فقام شاعرهم وخطيبهم أن يقول، فافتخر خطيبهم بحسبهم وكثرة عددهم وعطاياهم، ثم جعل رسول الله ﷺ خطيبه ثابت بن قيس الشماس يجيب خطيبهم فتحدث عن فضل الحق محمد ﷺ نبيا ورسولا قريبا، ويدعون إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله وأن من حمد دعوته وأعطى عليها فهو أهل الخير.

ثم جاء دور الشعر فتكلم الزبرقان بن بدر مفاخرا بقومه.

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

حتى انتهى من قصيدته، فقام الرسول ﷺ شاعره حسان بن ثابت وأنشد قصيدته في الرد عليه قائلا:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع

وكانت قصيدة حسان هذه التي توضح أثر الرسول وصحابته في الشجاعة والنصر والعطاء.

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع

وهكذا كان الحرص على رد كيد ما يوضح فكر الإسلام وسنة محمد ﷺ.

ففي سيرة متلاحمة منذ البداية إلى الخاتمة

كتبه ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى من العرب

سلك الرسول ﷺ في نشر دعوته شتى طرق الإعلام لعصره، لم يسمع بأحد من العرب من ذوي الشرف في مكة والمدينة إلا عرض دعوته عليه، وبعث إليهم بالكتب والرسل ليبلغهم هذه الدعوة، ويدعوهم إلى الدخول فيها وترك ما هم عليه.

فهذا كتابه ﷺ إلى يهود خيبر يقول فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى وأخيه، والمصدق لما جاء به موسى، ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]

وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى

---

(١) الفتح: ٢٩

[illegible]

[illegible]

وعلى هذا أرسل الرسول رسله وكتبه إلى بعض القبائل العربية، [illegible] الإسلام [illegible] وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ إلى أن كتب إليه الرسول ﷺ [illegible] رسول الله ﷺ.

كما كتب الرسول ﷺ كتابا إلى [illegible] الجذامي الذي أسلم وحسن إسلامه، ونصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله [illegible] إلى قومه عامة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله [illegible] ﷺ إلى [illegible]

حزب ـــ مدينة في اليمن ـــ ومن بعدها من قبيلة همدان أرسله من مالك
بن نمط ، أحد وفد همدان الذين قدموا على رسول الله ﷺ من قبل
وهكذا نجحت دعوته ﷺ لهؤلاء وغيرهم ممن أرسل إليهم من كسرى
ما نكلوا عليه من معوقات واعتداءات في حياته ﷺ وبعده و [illegible] ـــ بعد
[illegible] ـــ [illegible] الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه

منهج الإعلام الخارجي

اتخذ الرسول ﷺ منهج الإعلام الخارجي لمن حوله من الدول ، فأرسل كتبه إلى بعض الملوك [١] ، فأرسل إلى كسرى شيرويه ملك الفرس ، وإلى هرقل عظيم الروم ، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر وإلى ملك الحبشة والبحرين واليمامة .

وكانت كتبه إليهم بعضها قصيرة ، ودعوة لهؤلاء الناس يقرءون لقومهم بالحسنى ، ليصلوا إلى اليقين بالإيمان بمحمد ﷺ مرسلا لينهي الرسالات الإلهية متتابعة ، وأن رسالته ﷺ خاتمة لهذه الرسالات ، وأن الكتب المنزلة على القرون الأولى تبشر بدعوة محمد ﷺ ، وفيها أن من يصاحب بعثته عليه الإيمان به ، ومن لم يؤمن به فإنه لم يتبع كتبهم ، وهذا ما تحمله كتبهم السابقة كالتوراة والإنجيل .

---

(١) كانت هذه الكتب عقب صلح الحديبية سنة ٦ من الهجرة ، راجع ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١ ص ٣٥ ، [illegible] محمد مصطفى [illegible] ، ط ٢٧٩ هـ ، ١٩٦٠ م ، ص [illegible]

وكان يصدر هذه الكتب بقوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى ملك الفرس"[1]، أو "إلى هرقل عظيم الروم"[2] أو "إلى المقوقس عظيم القبط"[3]. أما بعد، سلام على من اتبع الهدى. أسلم تسلم فإن لم تسلم فعليك إثم كذا

---

[1] نص كتابه إلى كسرى: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. أما بعد، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله [illegible] أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. [illegible] [illegible]

[2] نص كتابه ﷺ إلى هرقل: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. أما بعد: السلام على من اتبع الهدى، [illegible] مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: 64]

[3] [illegible] الإسلام [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، [illegible] الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم القبط ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا [illegible]

وهذا يعني أن الرسول ﷺ قد يخرج لهم رسالة مؤيدة ومصدق للرسالات السابقة، ومهيمن أي رسالته اختلافا لها، وإن الذين يؤمنون بمحمد ﷺ وبرسالته يعني أن يأخذ المؤمن منهم من أهل الكتاب أجرين: الأجر الأول عن إيمانه بموسى أو عيسى عليهما السلام، والأجر الثاني عن إيمانه بمحمد ﷺ، وإن الموت حصر الأجرين معا، وجاء به الإثم الذي ذكره القرآن، أي الإنجيل لمن يؤمن بمحمد ولا يؤمن به.

وهذا المعنى على قدر ما به القرآن — أيضا — على سبيل التذكير لهؤلاء، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ (1)

فالكفلان نصيبان من ثواب بسبب الإيمان السابق، وبسبب الإيمان بمحمد ﷺ

---

* شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران: 64]

ويرد الهرقل على كتاب رسول الله ﷺ [illegible] [illegible] فذلك، [illegible] [illegible]، وكنت أظن أنه يخرج [illegible]، ولم [illegible] رسولك، [illegible] [illegible] عظيم [illegible] [illegible] [illegible] (ج 3/ 296، وتاريخ الطبري ج 2/ 650).

(1) الحديد: 28.

وكان يحمل تلك الكتب إلى الملوك سفراء من أصحاب رسول الله ﷺ من الشجعان الذين تعودوا على هذه الأقطار ، ويعرفون لغاتها ، ويتخذ الرسول لنفسه خاتماً من فضة نقش عليه [محمد رسول الله] فختم به الكتب ، وأعطاها السفراء ، وقد بعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس .

وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم .

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة .

وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر ، وكان بالإسكندرية وقت تسلمه الكتب .

وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر ، وعباد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان .

وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال . وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة .

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين .

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام .

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن (1) .

---

(1) السيرة لابن هشام ٤/١٠٧ ، والسيرة لمحمد مصطفى النجار ، ص ٤٠٦ .

وهذا كله دال على أن عالمية من النبي ﷺ لأمر الدعوة إلى الخارج ، لأنها دعوة عامة للناس جميعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (١) ، وقال ﷺ : [بعثت إلى الناس كافة] .

---

(١) سبأ ٢٨ .

تصحيح مسار الدعوة
على الفهم الصحيح للإسلام

إن الداعية لابد أن يكون على علم بكل أمر يجرى من حوله أو يحدث بين يدى دعوته ، وإذا وجد مشكلات قد تعترض دعوته أو تؤدى إلى جوانب ذات أثر ضار بالدعوة فعليه أن يسارع إلى علاجها ، وأن يقصد إلى بيان التوجيه الصحيح فيما يعرض من مشكلات ، أو ما يرى من فهم خاطئ ، وذلك هو أساس الدعوة ، ووسيلتها الصحيحة . لا أن يقف الداعية بعيداً عن المشكلات ، ويقول : لا شأن لى بها ، لا صلة لها بالدعوة والدعاة .

هذا رسول الله ﷺ يجد ثلاثة من أصحابه يذهبون إلى بيوته يسألون عن عبادته ﷺ ، فيخبرون أنه يصلى كذا ، ويقوم ، وأنه يفطر حيناً وأنه يصوم كذا ، وأنه يؤدى من سائر الطاعات كذا ، فكأنهم تقالّوها ــ أى عدوها قليلة ــ فقال بعضهم لبعض : إن النبى ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو ــ لذلك ــ يؤدى قليلاً من الطاعات ، فنحن نحتاج إلى أكثر من ذلك ، فقال أحدهم : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثانى : أنا أقوم الليل ولا أنام ، وقال الثالث : أنا لا أتزوج النساء ، فلما علم الرسول ﷺ بما اتفقوا عليه لم يترك الأمر هكذا ، وإلا لم يكن ساهراً على أمر دعوته إلى أن يقف عليها ليبين التوجيه الصحيح فيها وفيما يجعل القوم لو يتركون .

فخرج ــ عليه الصلاة والسلام ــ وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال ، أيها الناس : " ما بال رجال يقولون كذا وكذا ؟ أما والله إنى

لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

وبهذا أدرك هؤلاء الجماعة حقيقة الإسلام، فيسره وسهولته [illegible] مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية التي لا تعرف شدة ولا انحلالاً، ولا تعرف إرهاق النفس والعنت بحجة الأجر، ولا تعرف العزلة عن الحياة أو الرهبانية، فلا رهبانية في الإسلام.

وهكذا فالمطالب بالإسلام مطالب بأن يصلح نفسه، ويصلح مجتمعه، ويبث الدعوة فيمن حوله، [illegible] وهذا مطلب إنساني، عن الشهوات التي [illegible] وجعلت الإنسان [illegible] لا [illegible] والإسلام [illegible]، ولهذا قال تعالى: ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾[1].

ثم نرى [illegible] في شبه [illegible] أن يصلحوا [illegible] وسلوكهم وفق ما جاء به الإسلام، [illegible] مما لا يصح أن يقال أو يفعل، [illegible] الذين [illegible] أن [illegible] يعملون، [illegible] من [illegible] على [illegible].

---

(1) الأعراف ٣٢.

دعوة التيسير

من الأمور التي [illegible] نشر الدعوة أن تعرض دعوته في صورة سهلة ، [illegible] إلى خير العمل ، [illegible] عند تصديق الأمر [illegible] مع قواعد الشريعة .

فالإنسان [illegible] في سبيل [illegible] إلى الحق [illegible] ولا يكلف نفسه [illegible] ولا مشقة ، وذلك [illegible] .

أما هؤلاء الذين يحتقرون [illegible] أمام الناس ويعرضون عليهم عباداتهم ، فذلك يدعو إلى [illegible] من الدعوة ، ويشعرون [illegible] .

وقد كان ﷺ في [illegible] طريق التيسير ، [illegible] يدفع الأفراد والجماعات [illegible] الـ[illegible]ر ، [illegible] ويقفهم ، أو لا [illegible] ، [illegible] وما [illegible] .

هذا النبي ﷺ حين بعث معاذا بن جبل إلى اليمن أوصاه [illegible] ، ثم قال له : يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر " ، وقال له مما قال : " ادعهم إلى الشهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم شهدوا بذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها

ومن اتخذ صحابه " وهكذا علمه ﷺ الرفق بهم ، والتدرج في التكاليف الشرعية ، وحينما جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، وقال له : يا رسول الله أخبرني ما افترض الله علي في الإسلام، وفي رواية علمني عملاً أدخل به الجنة ، فقال له النبي ﷺ : فرض الله عليك خمس صلوات في اليوم والليلة فقال الأعرابي : هل علي غيرها ؟ قال له النبي ﷺ : لا ، إلا أن تطوع . فقال له فما فرض الله علي في الصيام ؟ قال له : فرض عليك صيام شهر رمضان ، قال : هل علي غيره ؟ قال له : لا ، إلا أن تطوع ، ثم بين له فرض الزكاة ، والحج وهو يقول : هل علي غير ذلك ؟ ويقول له النبي ﷺ : لا ، إلا أن تطوع فقال الأعرابي : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال النبي ﷺ : **أفلح إن صدق** ، وفي رواية : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .

هكذا يبشر الرسول ولا ينفر وييسر ولا يعسر

فما أحوجنا نحن الدعاة إلى أن ننتهج نفس أسلوب التيسير على مدعوينا ومجتمعاتهم ، وأمورهم ، وأن نبين لهم حدود الله وأحكامه في مسائل في ما يخرجهم ويسرهم . ويأخذ بأيديهم سواء كان ذلك في صلاة أو صيام أو حج أو معاملة أو سلوك اجتماعي ، ونراعي ظروفهم وما يعانون وما يتعرضون من الأحوال والظروف ، وأن ننتهج أسلوب التيسير معهم في أبواب الفتوى ولا نضع حرجاً أو عنتاً في دينهم ، بل نبين لهم رحمة هذه الشريعة ويسر الشرع وسعته لمن يتمسك به ويلتزم له ، ولا حرج ولا تضييق في شرع الله .

الترغيب والترهيب

إن الداعية إلى الله لكي تنجح دعوته لابد أن ينصح قومه ، ويخلص له ، ويؤثر عليهم تارة بالترغيب ، وتارة أخرى بالترهيب ، ويوازن بين الأمرين بحيث يحدث التأثير على النفس البشرية ، فيمضي ذلك بين الطمع والرجاء ، والخوف والرهبة ، أما التركيز على جانب واحد فقد يكون له أثر سيئ على الدعوة .

وقد جاء القرآن الكريم مشتملا على المعنيين معا فهو يذكر أن الله غفور رحيم ، ويذكر أنه شديد العقاب ، كما قال تعالى : ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾[1] . ويقول عز من قائل : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾[2] .

---

[1] غافر : ١ ـ ٣

[2] الكهف : ٢٩ ـ ٣١

وهكذا نرى في القرآن الكريم تعبير الإنذار يحمل الرحمة والشفقة والحنان والعاطفة.

والرسول ﷺ كان يجمع بين الأمرين في دعوته للناس، فهو يبشرهم بما عند الله من الفضل والنعيم والنعمة، ويخوفهم من عذابه — إشفاقا — حتى يستقيموا على طريق الله، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل أتى قوما فقال: إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء. فأطاعته طائفة فأدلجوا فنجوا، وكذبته طائفة أخرى فصبحهم الجيش فاجتاحهم".

فالرسول ﷺ يبين لهم أثر الإيمان بدعوته، والإعراض عنها، فمثله في دعوته لهم ودلالتهم على ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم، مثل هذا الرجل الذي قاده نصحه لقومه للاستنقاذ أن [illegible] الذي [illegible] بينهم، فلما عرف أن جيش الأعداء يريد إهلاكهم، حذر قومه حتى إنه خلع ثوبه وأخذ يلوح به في الهواء لتراه قومه فيفطنوا — على بعد — لخطورة الخطر الذي يحذرهم منه — أي خطر، فإذا فهموا المحذور له، لم يهربوا من وجهه نجوا من شره الذي يريد أن ينزل بهم.

فبشرى الله تأتي إلى الناس، والنبي ﷺ مثلي — بشرى لمن يطيع الله ورسوله ويعمل الصالحات لأنه سيعيش في مودة ورحمة، ولم ينزل به أذى. وأما من عصى أمر الله ورسوله فإن عذاب الله نازل به لا محالة وقاص عليه.

لعل خطابنا ودعاتنا يستشعرون التعصب في القطيعة والتفرقة بين
الصحابة . دون أن يقتصروا على حصد الثمرات فحسب ، فتنسى تصحيح
دعوتهم ، ونطلق عليها الفتن.

تواضع المؤمنين

امتدح الله تعالى صفة التواضع ، وهي من أكبر البشرى ، فالتواضع خلق كريم من أخلاق الإسلام السمح ، وقد جعل المولى سبحانه أهم السمات من عباد الرحمن المخلصين في كلامه سبحانه كما قال تعالى: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً** ﴾[1] فهم الذين يشعرون بضعفهم ويشعرون بقوة الله والطاعة والانقياد للأوامر الإلهية . فإنهم يصدرون الخير ، ويحتقرون ما تعاملهم من قبل ، ويصدرون أنفسهم متواضعة لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، ولقد خلقوا من أب واحد ، وأم واحدة ، فلا فرق بينهم بالألقاب ولا الأحساب ، ولا الغنى أو الفقر ، ولا المناصب والرتب ، وليست العصبية القبلية إلا من عمل الشيطان وكيده ، والمال زينة وعرض ، وهو زائل ، وحطام الدنيا الفاني كله يفنى ويزول ، وكل شيء يمكن أن ينتقل من شخص إلى آخر ، فيصبح الفقير غنيا والغني فقيرا ، وصاحب المنصب يمكن أن يزول عنه جاهه وبروزه من عشية وضحاها ، إن الله تعالى قد حدد ذلك بعمله القائل متواضعة لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وقد قال سبحانه .

---

(1) الفرقان : 63

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [1]

ومر رجل على رسول الله ﷺ وعنده جماعة من أصحابه، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حقيق إذا خطب أن ينكح، وإن قال أن يستمع، وإن شفع أن يشفع. ثم مر رجل فقير، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: ما رأيكم في هذا؟ قالوا: حقيق إذا خطب ألا ينكح، وإن قال ألا يستمع، وإن شفع ألا يشفع، فقال عليه الصلاة والسلام: هذا ـ يقصد الرجل الفقير ـ خير من ملء الأرض مثل هذا ـ يعني الرجل الغني ـ فقد قصد ﷺ أن مقاييس الناس مقلوبة في نظرهم، فيعطون الغني نظرة تقدير في الوقت الذي ينظرون فيه إلى الفقير نظرة ازدراء.

والله تعالى يأمر الناس بأن يسيروا متواضعين دون تكبر أو كبر كما قال تعالى: ﴿ ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ [2].

وقد كان الرسول ﷺ مثلا في التواضع نفسه، فقد كان يجلس بين أصحابه فلا يكاد يعرف، لأنه لا يميز نفسه عنهم حتى كان الغريب عنه يأتي فيسأل: أيكم ابن عبد المطلب؟ وحينما دخل عليه رجل

---

[1] الحجرات: ١٣.

[2] الإسراء: ٣٧ ـ ٣٨.

ـ وقد [illegible] ـ تعالى له ـ عن شكله فجعله في صورة [illegible] الحيــــة

حكمة .

والكبرياء صفة الله تعالى وحده ، لا يصح أن يشاركه فيها غيره ، وهو الكبير المتعالي . لأنه المتصف بالصفات على المخلوقات كلها ، وقد قال سبحانه فــي الحديث القدسي : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهمــا ألقيته عذابي ولا أبالي "

خطبة الرسول ﷺ العالمية وحقوق الإنسان

حج رسول الله ﷺ حجة واحدة هي حجة الوداع ، وفي هذا إيذان بـ باكتمال الإسلام ، لقوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[1] .

وكانت خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة النبوية خطبة عالمية تعد دستورا للأمة الإسلامية ، والعالم كله يجب عليه أن ينطلق عنه من مبادئ وتستقيم تربوي بالمجتمع الإنساني إلى الاستقرار ، والأمن ، والنهضة والتقدم . ويبقى – على مر العصور – مجالا لتحليل دروس أولي النهى الخبرة من الساسة والعلماء والمفكرين ورواد النهضة في كل زمان ومكان ، حيث يتبينوا بين أحسن النظم والأفكار العالمية في إصلاح المجتمعات ، والأخذ بها إلى عزها ومجدها .

وهي تشتمل على عدة محاور تتناول حقوق الإنسان اعترافا بها وإعلانا لها قبل أن تعرف الدساتير البشرية هذه الحقوق ، وقبل أن تظهر مواثيق حقوق الإنسان في العالم بعدة قرون .

---

[1] المائدة : ٣

وهذه هي أهم المحاور :

المحور الأول : الحفاظ على سلامة الأرواح والأبدان .

يتحدث النبي الكريم في خطبته الجامعة عن منع الاعتداء على الغير بالقتل وسفك الدماء ، فقال : "أيها الناس إن دماءكم عليكم حرام" ، وقضى بذلك على ظاهرة الثأر ووسائل الغدر والصفح عن القاتل ، ونبذ الأحقاد والتفرق بين الأسر ، والشعوب ، يقول ﷺ : "إن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضعه دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب" .

المحور الثاني : سلامة الأموال من العدوان .

قال رسول ﷺ — في خطبته — منع الاعتداء على الأموال ، ومنع أي نوع من أنواع اغتصاب المال والاستيلاء عليه بالباطل دون حق ، فقال : "أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد" ويحرم أخذ الأموال دون رضا أصحابها ، أو رضا المستحق الذي يملكها ، يقول ﷺ : "أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد" .

ومنع مضاعفة الأموال ، وذلك عن طريق الكسب غير المشروع ، والحصول على المال الحرام من أي طريق ، وهدم سلطة جميع المرابين في جمع المال عن طريق غير شريف — ركن من أثرياء مكة ومرابيها —

يقول : [إن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ بــــه ربا عمي العباس بن عبد المطلب] .

المحور الثالث : سلامة الحقوق من الضياع :

منع الرسول ﷺ ضياع الحقوق ، وحث الناس علــى حفظهــا ، وصونها لأصحابها ، ليبقى الإنسان على حاجته ومقتنياته لن ينال منــها ، أو يصيبه بأذى المعتدين عليها من أصحاب الدم الحرب ، وحذر مما قــد يقع على ممتلكات الآخرين من التلف ، أو الضياع أو استيلاء الغير ؛ لأن هذا يضر الأمة في رخائها وازدهارها ، يقول : [فمن كانت عنده أمانــة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها] .

المحور الرابع : سلامة النفس من الهوى والزيغ والضلال :

فمنع ﷺ ونهى عن طاعة الشيطان ، والجري وراء الشهوات التــي تصيب الإنسان وتنأى به عن السلوك المستقيم ، يقول : [أيها النــاس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيمــا سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم] ويقــول : [وإن مــآثر الجاهليــة موضوعة إلا السدانة والسقاية] .

المحور الخامس : البعد عن اختلاف الآراء والأفكار بما يضـــر بالصالح الاجتماعي العام :

نهى ﷺ عن تشتت الرأي وبعثرته ، فالاختلاف يدعو إلى التمـــزق ، والتناحر، والتعصب ، والفشل والانحلال . وحث ﷺ على الاتحاد فيما هو نفع ومفيد بالاعتصام بالحبل المتين الذي جاءت في خطبته الشريفة تقول :
[فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكـــم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله . ألا هل بلغت . اللهم اشهد]

المحور السادس : تكريم المرأة وسمو مكانتها فـــي الإســـلام ودورها الفعال في خدمة المجتمع :

دعا ﷺ إلى العناية بها ، وبين حقوقها وواجباتها ومطلوب ذلك منها في إصلاح المجتمع ، لأنها أساس من أسس الأسرة ، يقول : [أيها النـــاس إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، وعليكم رزقهن وكســـوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان فاتقوا الله في النساء واســـتوصوا بهن خيرا . ألا هل بلغت . اللهم اشهد] .

المحور السابع : نبذ التفاضل بالأحساب والأنساب ــ كما هي دعوى الجاهلية ــ وجعل العمل الجاد هــو أســاس التفــاضل والدعوة إلى وحدة الأمم والشعوب .

لقد نعى الرسول الكريم ﷺ أن يكون النسب [illegible] والعرق والحسب [illegible] والتفاضل [illegible] بين الناس : لأن الله سوى خلقهم [illegible] في الحقوق والواجبات لا فضل لعربي على عجمي [illegible] ولا أحمر على أسود إلا على أساس عمله وجهده ، وذلك [illegible] تحقيق الوحدة ، والمجتمع الشامل [illegible] الله [illegible] ، [illegible] عليهم من معرفة وحدة الأصل الإنساني [illegible] واحداً ، ويستوون في أنهم واحد مخلوق من التراب ، يقول : [أيها النــاس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عنــد الله أتقاكم . ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى . ألا هل بلغــت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب]



محتويات الكتاب



طبع

بمطبعة وزارة الأوقاف

بطرة البلد

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والفكرية المسلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأمهات الكتب التي صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامي

[illegible]

سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

الموسوعة القرآنية — موسوعة علوم الحديث — موسوعة أعلام الفكر الإسلامي

موسوعة الحضارة الإسلامية — موسوعة التشريع الإسلامي

المصحف الشريف

[illegible]

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المفكرين في العالم الإسلامي

[illegible]

مراكز البيع

القاهرة [illegible] جاردن سيتي — [illegible] التحرير

مكتبة مسجد النور بالعباسية — [illegible] شركة القرآن الكريم

الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

[illegible]

طبع بمطبعة وزارة الأوقاف